



سعة التأليف

في الإسلام

من جملة مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق كتابان عظيمان تعددت مجلداتهما فدلا على اتساع نطاق التأليف في الإسلام أيام كان علماءه منصرفين إلى العلم والعمل يصرفون أئمن أوقاتهم في خدمة الأمة وهما كتاب الكواكب الدراري في تبويب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري لجامعه الإمام أبي الحسن علي بن عروة الحنبلي من أهل القرن التاسع وكتاب تاريخ دمشق الكبير لواعده الحافظ أبي القاسم ابن عساكر من أهل القرن السادس.

هذان السفران الجليلان آيتان ناطقتان على طول نفس أجدادنا وشدة وثاقنا وجهالتنا فقد وجد من الأول مجلدات كثيرة ضخمة لا تقل عن ثمانين مجلداً متفرقة ومما وجد منها المجلد الثاني والعشرون بعد المئة بحيث لا يظن أن الكتاب بلغ أقل من مئة وخسين مجلداً في

الخير والحديث والأصول والفقه الحنبلي وتراجم الحنابلة ومباحث في الفلسفة والكلام والتاريخ والأدب فهو دائرة معارف إسلامية حقيقية ضمت بين جوامعها أشهر كتابات علماء الحنابلة وكبار مجتهدي الأمة مثل شيخ الإسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية وابن رجب وغيرهم من الأعلام.

وأما تاريخ دمشق فنته الآن نسختان نسخة في عشرين مجلداً ونسخة وقعت في عشرة مجلدات ضخمة وهي تامة وكان كتب في ثمانين مجلداً. ولقد جرى ذكره بين حافظ مصر في عهده زكي الدين المنذري وطال الحديث في أمره واستعظامه فقال حافظ مصر: ما أظن هذا الرجل إلا عزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسه وشرع في الجمع من ذلك الوقت وإلا فالعمر يقصر عن أن يجمع فيه الإنسان مثل هذا الكتاب بعد الاشتغال والتعب. قال ابن خنكان: ولقد قال الحق ومن وقف عليه عرف حقيقة هذا القول ومعنى يتسع للإنسان الوقت حتى يضع مثله وهذا الذي ظهر هو الذي اختاره وما صح له هذا إلا بعد مسودات ما يكاد ينضب حصرها وله غيره تواليف حسنة.

وبعد فإن الخالق تعالى وضع في أفراد من كل أمة خاصيات ومنكات قلما يشاركون فيها كثيرون وآتاهم هبات يستعلمونها في نفع البشر ونفوساً لا تعرف الملل للدرك مقاصدهم الشريفة. وكلما ارتقت الحضارة في شعب ينبع فيه رجال يصرفون على الإفادة والاستفادة نقد أعمارهم ويتحصون لإحسان الخدمة حتى لا يكادون يرون السعادة والملاذ والخير وكل ما تطمح إليه نفوس بني الإنسان من المعالي رإلاً فيما هم بسبيله.

ومن أنعم النظر في تراجم نوابغ العلماء ودرس حياتهم حتى دراستها لا يلبث أن يزول عجه إذا شاهد كيف كانوا يستغرقون في أعمالهم ويتفانون فيما أخذوا به نفوسهم

فيزهدون في المال والبنين ويفطرون أنفسهم عن حب المناصب والمراتب والزخارف والسفاسف.

كنا ذات يوم نذكر لأحد أصدقائنا من الأطباء الذين صرفوا شطراً من حياتهم في الغرب اتساع التأليف في هذه الأمة قديماً فقال أما ما ينبغيكم عن أكثر المؤلفين في الغرب اليوم من كثرة المصنفات فليس لأكثرهم منه إلا النظر القليل يكتبه لهم أذكفاء المتخرجين بهم بعد أن يكونوا ثقفوا عنهم بعض ماله علاقة في الموضوع الذي ألفوا فيه حتى إذا أتوا على آخره يدفعونه إلى أساتذتهم فيجبنون فيه أنظارهم ويمتنونه لنطع مفتحاً بأسمانهم والمصنف منهم من يذكر أن تلميذه فلان أعانه في التأليف وبعضهم بضون بمثل هذه الإشارة.

ولما أوردنا أسماء كثير ممن اشتهروا في الإسلام وألفوا التواليف المستعنة الضخمة وعنوا وحدهم في الأكثر جمعها وتنسيقها وتصنيفها وتبسيطها وتسويدها وإن ما أثر عنهم كان مردوداً لو لم يرد على لسان أهل العدل والصدق من المؤرخين وعلماء التراجم وبعضهم قد يكذبون من أصدادهم وحاسيدهم - عند ذلك اقتنع صاحبنا بصحة رأينا وقال أن حال الإفرنج اليوم يخالف حال سلفنا فإن الإفرنجي مهما بلغ من حبه الحكمة وتقانيه في خدمة المعارف يقتطع له أوقاتاً لراحته وإدخال الفرح على قلبه لينشط إلى متابعة السير في علمه أما الشرقي فإنه يفرط فيما تمحض له فحاله إما تعب ليس وراءه غاية أو راحة ما بعد ورائها وراء.

افتح أي كتاب من كتب التراجم ولا سيما تراجم أهل القرون الستة الأولى للإسلام تسقط على مبلغ عناية رجالنا بالتأليف وتوفرهم على النفع وقد يظن أن معظم ما خلفوه

من كتبهم هو ديني محض ولا أثر لهم في العلوم الدنيوية ولكن هذا الظن لا يغني من الحق شيئاً لأن جماهير المؤلفين الجيدين لم يكونوا متسكنين من علوم الدين بإعقال علوم الدنيا بل إنهم كانوا يعتقدون بأن العلوم بأسرها نافعة في الدارين وما نفع في هذه الأولى كان خفيّاً بأن

ينفع في الأخرى.

هذا أبو محمد حمز الظاهري وأهل الظاهر نفاة القياس والتعليل وهو معدود في الطبقة الأولى بين علماء الدين ومع هذا تجد له تأليف ممتعة فيما نعتبه من علوم الدنيا فقد ذكر غير واحد من علماء الأندلس أن تصانيفه في الفقه والحديث والأصول والنحل والمنل وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الأدب والرد على المخالفين نحو من أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة. وهذا شيء ما عساه لأحد ممن كان في مدة الإسلام قبله إلا لأبي جعفر الطبري فإنه أكثر أهل الإسلام تصيفاً فقد ذكر أبو محمد عبد الله بن محمد الفرغاني في كتابه المعروف بالصنعة وهو الذي وصل به تاريخ أبي جعفر الطبري الكبير أن قوماً من تلاميذ أبي جعفر لخصوا أيام حياته منذ بلغ الحلم إلى أن توفي في سنة ٣١٠ وهو ابن ست وثمانين سنة ثم قسوا عليها أوراق مصنفاته فصار لكل يوم أربع عشرة ورقة ومن جملة تأليفه التفسير الكبير والتاريخ الذي هو أصح التواريخ وأثبتها وكلاهما مطبوع متداول وهو الذي قال لتلاميذه: هل لكم إن أمني عليكم كتاباً في التاريخ قالوا وكم يكون حجمه فقال ثلاثون ألف ورقة فاستعظموا ذلك وأرادوه على الاختصار حتى أملاه عليهم في ثلاثة آلاف ورقة فجاء كما رأيناه اليوم أحد عشر مجلداً ضخماً أعلاه بهذا القدر وهو يحوّل ويقول ماتت المهم لأن تلاميذه لم يوافقوه على جعل

تاريخه في ثلاثين ألف ورقة فبماذا كان يقول لو جاء في هذا العصر ورأى انحطاط علوم الدين وعلوم الدنيا بين قومه.

وابن جرير في إجادته في التأليف وإكثاره منه مشهور كسائر من تقدمه ومن تأخر عنه من المصنفين مثل ابن تيمية من أهل القرن الثامن فقد قال فيه أحد واصفيه أن له من المؤلفات والقواعد والفتاوى والأجوبة والرسائل والتعليق مالا يحصر ولا ينضب ولا أعظم أحداً من المتقدمين ولا من المتأخرين جمع مثل ما جمع ولا صنف نحو ما صنف ولا قريباً من ذلك مع أن تصانيف كان يكتبها من حفظه وكتب كثيراً منها في الحبس وليس عنده ما يحتاج إليه ويراجعه من الكتب. وقال غيره كان الإمام يكتب في اليوم والليلة من التفسير أو من الفقه أو من الأصول أو من الرد على الفلاسفة الأوائل نحواً من أربعة كرايس أو أزيد وما يبعد أن تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلد وله في غير مسألة مصنف مفرد في مجلد وجمع بعض الناس فتاويه بالديار المصرية مدة مقامه بها سبع سنين في علوم شتى فجاءت نحو ثلاثين مجلداً وقيل إن تأليفه تبلغ ثلاثمائة مجلد.

ومثله أبو الفرج ابن الجوزي الواعظ من عتناء القرن السادس صنف في فنون عديدة وكتب أكثر من أن تعد وكتب بخطه شيئاً كثيراً والناس يغالون في ذلك حتى يقولون أنه جمعت الكرايس التي كتبها وحسبت مدة عمره وقسمت الكرايس على المدة فكان ما خص كل يوم تسع كرايس وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبده العقل ويقال أنه جمعت براية أقلامه التي كتب بها حديث الرسول فحصل منها شيء كثير وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته ففعل ذلك فكفت وفضل منها.

ومن الكثيرين من التأليف ابن الهيثم الرياضي الطبيعي فقد عدد ابن أبي أصيبعة مصنفاته في زهاء أربع صفحات هذا عدا ما ضاعت دساتيره منه لما فارق البصرة والأهواز وانتقل إلى مصر قال: وما أظنها تنقص عن مئة مجلد. ومثله الفارابي أحد فلاسفة الإسلام كان مكثرًا من التأليف وقد أضاع أكثرها لأنه كان يكتب في رقاع كيفما اتفق ويختار الفلاة ومجاري الأنهار للتأليف فتنطير الأوراق التي يكتبها.

ومثلهما أبو الريحان البيروني قال ياقوت: كان لغويًا أدبيًا له في الرياضيات والنجوم اليد الطولى ولما صنف القانون المسعودي أجازته السلطان بحمل فيه فضة فرده للاستغناء عنه وكان مكبًا على تحصيل العنوم منصباً على التصنيف لا يكاد يفارق يده القلم وعينه النظر وقلبه الفكر دخل عليه بعض أصحابه وهو يجود بنفسه فقال له في تلك الحال كيف قنت لي يوماً حساب الجداول الفاسدة فقال: أفى هذه الحال قال: يا هذا أودع الدنيا وأنا عالم بها أليس خيرًا من أن أخليها وأنا جاهل بها قال: فذكرتها له وخرجت فسعت الصريح عنه وأنا في الطريق. قال ياقوت: وأما تصانيفه في النجوم والهيئة والمنطق والحكمة فلها تفوت الحصر ورأيت فهرستها في وقف الجامع بمرو في ستين ورقة. وقال بعض مترجميه: إن كته زادت على حل بعير.

والبيروني أحد كبار فلاسفة العرب يحمي في طبقة ابن سينا وابن رشد وابن زهر والفارابي ومثلهما الكندي فينسوف العرب وكتبه في عنوم مختلفة مثل المنطق والفلسفة والهندسة والحساب والأرثماطقي والموسيقى والنجوم وغير ذلك وقد عدد أسماءها ابن النديم في ست صفحات. ومثله أبو بكر بن زكريا الرازي صاحب المصنفات المتعة في الطب والعنوم العقلية والأدب وهو الذي استار الغربيون لأول همصتهم بمصنفاته وأول ما طبع

عندهم من تأليف العرب كتبه ذكر أسماءها ابن أبي أصيبعة في نحو سبع صفحات وابن النديم في ثلاث. ومن المكثرين من التأليف في عهد الحضارة الإسلامية حنين بن اسحق وثابت بن قره ويعقوب بن اسحق الكندي وقد ساق ابن أبي أصيبعة تأليف آخرهم في خمس صفحات وكلها كتايف حنين وثابت فلسفية علمية وهم أئمة النقل من اليونانية إلى العربية.

ومن المكثرين من التأليف الجودين فيها حجة الإسلام الغزالي رالموردى وعمر بن بحر الجاحظ وجار الله الزمخشري وهذان الأخيران من أئمة المعتزلة قيل في الأول أن تأليفه تعلم العقل وفي الثاني أن تأليفه يكتفى بها في التفسير والحديث والنحو واللغة وعلم البيان والأدب. ومن المكثرين الجودين من أئمة المعتزلة القاضي عبد الجبار قيل أن تأليفه التي وضعها في كل فن أربعمئة ألف ورقة ومن أئمة المعتزلة كثيرون من جاوزت مؤلفاتهم المئة والخمسين ألف ورقة.

ومن المؤلفين الأول المكثرين من التأليف هشام الكلبى العالم بالنسب وأخبار العرب رأياهما ومثالبها ووقائعها المتوفى سنة ٢٠٦ ذكر كتبه ابن النديم في نحو ثلاث صفحات وهي تزيد على مئة وخمسين ومنهم المدائني المتوفى سنة ٢١٥ في نحو أربع صفحات ومنهم المرزباني من أهل القرن الرابع قال إن تأليفه بلغة ألوفاً من الأوراق ومن الفقهاء والحفاظ المكثرين من التأليف محمد بن إدريس الشافعي وداود بن حنظل الأصفهاني وأبو العباس بن سريح المعروف بالباز الأشهب من أئمة الشافعية كانت فهرست كتبه تشتتل على أربعمئة مصنف وقيل أن تصانيف الحافظ أبي بكر ابن البيهقي تبلغ ألف جزء ولأبي بكر ابن الخطيب صاحب تاريخ بغداد المتوفى سنة ٤٦٣ قريب من مئة مصنف وللسفي من

كتب الأصول والفقه والحديث والأدب والتاريخ مما يقرب من مئة مصنف وكان ابن سبعين ممن صنف تصانيف كثيرة وللاشعري خمسة وخمسون تصنيفاً.

وكان أبو حاتم البستي من أوعية العلم في اللغة والفقه والحديث والوعظ قال ياقوت وكانت الرحلة بخمرسان إلى مصنفاته وروى عن ابن ثابت أن من الكتب التي تكثر منافعها إن كانت على قدر ما ترجحها واصفها مصنفات أبي حاتم محمد بن حبان البستي التي ذكرها لي مسعود بن ناصر الشجري ووقفني على تذكرة بأسمائها ولم يقدر لي الوصول إلى النظر فيها لأنها غير موجودة بيننا ولا معرفة عندنا وأنا أذكر منها ما استحث سوى ما عدلت عنه وأطرحته وهنا عدها فجاءت زهاء مائتين وخمسين جزءاً وبلغت مصنفات أبي بكر بن فورك المتكلم الأصولي النحوي الواعظ قريباً من مائة مصنف. ولفظة المتكلم تطلق على من يعرف علم الكلام وهو أصول الدين وإنما له علم الكلام لأن أول خلاف وقع في الدين كان في كلام الله عز وجل مخنوق هو أم غير مخنوق فتكلم العباس فيه فسمي هذا النوع من العلم كلاماً اختص به وإن كانت العلوم جميعها تنشر بالكلام أمه ولأبي الحسين الرواندي صاحب المقالة المشهورة في علم الكلام وهو الذي ينسب إليه اليوم ظناً كل كلام فيه سفسطة ومغالطة وكفر من التأليف نحو مائة وأربعة عشر كتاباً مع أنه لم يتجاوز الأربعين من عمره.

ولرأس المتصوفة محيي الدين بن عربي تأليف كثيرة ومنها المستع ذكر في إجازة كتبها للنسك المعظم أنه أجازه أن يروي عدد مصنفاته ومن جنتها كذا وكذا حتى عد نيفاً وأربعين مصنف وألف رسالة عدد فيها كتبه كما جرت عادة بعض المؤلفين أن يترجوا

أنفسهم ويذكروا مؤلفاتهم في رسائل خاصة مخافة أن يدس عليهم بعضهم ما لا يروقههم ويقول فيهم ما ليس فيهم.

وابن سعيد الأندلسي المؤرخ من المكثرين من التأليف منها المرقصات والمطربات والمقتطف من أزاهر الطرف والطالع السعيد في تاريخ بني سعيد والموضوعان الغريبان المعددا الأسفار وهما المغرب في حلي المغرب والمشرق في حلي المشرق وغير ذلك قال لسان الدين حدثني الوزير أبو بكر بن الحكيم أنه خلف كتاباً يسمى المزمعة يشتمل على وقر يعبر من رزع الكوريس لا يعلم ما فيه من الفوائد الأدبية والإخبارية إلا الله تعالى.

ومن المكثرين من التأليف لسان الدين بن الخطيب وأبو العلاء المعري ولهذا كتاب سماه الأيكة والفصول وهو المعروف بالهزوة والردف يقارب المئة جزء في الأدب قال ابن خلكان: وحكى لي من وقف على الجند الأول بعد المائة من كتاب الهزوة والردف وقال إذا علم ما كان يعوزه بعد هذا الجند. ومن المكثرين القاضي الفاضل قال ابن خلكان: أخبرني أحد الفضلاء الثقات للطنعين على حقيقة أمره أن مسودات رسائله في المجلدات والتعليقات في الأوراق إذا جمعت ما تقصر عن مائة مجلد وكان الحاجب المنصور أبو بكر بن عبد الله بن مسلمة المدعو بالأفطس أديباً جليلاً ومن تأليفه الكتاب المظفري المسمى بالتذكرة في خمسين مجلداً. وكتب عبد اللطيف البغدادي الفيضوف نحو مئة وخمسين كتاباً وذلك في سياحات له طويلة دامت نحو أربعين سنة ساحتها بين العراق والشام ومصر والروم.

ومن المكثرين من التأليف والمتوسعين فيه أحمد بن أبان بن النغوي الأندلسي يعرف بصاحب الشرطة وهو مصنف كتاب العالم في اللغة نحو مئة مجلد مرتب على الأجناس بدأ

بالفلك وختم بالذرة وله في العربية واللغة كتب أخرى. ومثله ابن سيدة الضرير صاحب المخصص واخكم وغيره وهو من الكثيرين من التأليف والحفظ ومن الكثيرين أبو اسحق إبراهيم بن الأعمى البطنيوسي له نحو خمسين تأليفاً. وبلغت تأليف محمد أبي طالب القرطبي المتوفى سنة ٤٣٧ — ٧٧ تأليفاً وألف عيسى بن عمر النحوي نيفاً وسبعين مصنفاً في النحو قال سيبويه جمعها بعض أهل اليمام وأتت عنده عليها آفة فذهبت ولم يبق في الوجود سوى كتابين ولو تنافس أهل العلم وغلاة الكتب بمثل هذه الكتب لتعاورتها الأيدي بالنسخ ولما فقدت.

ومن الكثيرين من التأليف عالم الأندلس عبد الملك بن حبيب السني المتوفى سنة ٢٣٨ قال المقري رأيت في بعض التراخي أن تواليفه بلغت ألفاً ومن أشهرها كتاب الواضحة في مذهب مالك. ولأبي عمرو الداني القرطبي من غناء القرآن مئة وعشرون مصنفاً وكان يقول ما رأيت شيئاً قط إلا كتبه ولا كتبه إلا حفظته ولا حفظته فنسيته وآخر من له التأليف الكثيرة من أئمة الأندلس أبو الحسن القنصادي المتوفى سنة ٨٩١ وأكثر تصانيفه في الحساب والفرائض.

ومن عرفوا بسعة التأليف أحمد بن أبي عبد الله على مذهب الإمامية فإن ما كتبه بلغ مائة تصنيف عددها ياقوت في معجم الأدباء ومن فقهاء الإمامية أبو النصر العياشي ذكر ابن السليم أسماء كتبه في نحو صفحتين.

ويقال أن تواليف أبي جعفر بن النحاس تزيد على خمسين منها شرح عشرة دواوين للعرب

وذكروا أن محمد بن جماعة من أهل القرن الثامن كان أعجوبة زمانه في العلم وليس له في التأليف والتأليفين والثلاثة التي جاوزت الألف فإن له عنى كتاب أقرأه التأليف والتأليفين والثلاثة وأكثرها من شرح مطول ومتوسط ومختصر وحواش ونكت إلى غير ذلك وكان يعرف علوماً عديدة منها الفقه والتفسير والحديث والأصلاص والجلد والخلاف والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والمنطق والمهنة والحكمة والزيج والطب والفروسية والرمح والشباب والدبوس والثقاف والرمل وصناعة النفط والكيمياء وفنون آخر وعنه أنه قال: أعرف ثلاثين عنماً لا يعرف أهل عصري أسماءها.

ومن الذين أكثروا من التأليف أحمد بن مكرم من أهل القرن الثامن وعبد الرحمن الأنباري من أهل القرن السادس وعيسى الإصمكندراي من أهل القرن السادس وتقي الدين السبكي من أهل القرن الثامن وله مئة وخمسون تصنيفاً والجلال السيوطي من أهل القرن العاشر أطلعنا على فهرست كتبه في سبع ورقات وربما لا تقل عن أربعائة مجلد وفيها الجيد.

وأعجوبة المؤلفين أبو موسى جابر بن حيان قال: ألفت ثلاثائة كتاب في الفلسفة وألفاً وثلاثائة كتاب في الحيل على مثال كتاب تقاطر (٢) وألفاً وثلاثائة رسالة في صنائع مجموعة وآلات الحرب ثم ألفت في الطب كتاباً عظيماً وألفت كتاباً صغيراً وكباراً وألفت في الطب نحو خمسائة كتاب إلى أن قال: ثم ألفت كتاباً في الزهد والمواعظ وألفت كتاباً في الغزائم كثيرة حسنة وألفت كتاباً في النيرنجيات وألفت في الأشياء التي يعمل بخواصها كتاباً كثيرة ثم ألفت بعد ذلك خمسائة كتاب نقداً على الفلاسفة ثم ألفت كتاباً في الصنعة (الكيمياء) يعرف بكتب الملوك وكتاباً يعرف بالرياض.

وماذا عسانا أن ندون هنا ونقتبس من كلام المؤرخين في الكثيرين من المؤلفين العارفين ولو أردنا أن نذكر فقط من لهم منهم إلى عشرة كتب لاستغرق الكلام مجلد هذه السنة برأسه. وإنا ليحزننا يوم نذكر أن كل واحد من ذكرنا خلف للأمة خزانة كتب من مصنفاته ونلتفت الآن عن إيماننا وعن شمانتنا فلا نرى المؤلفين في الأقطار العربية يعدون على الأصابع والمكثر منهم من لا تتجاوز مصنفاته العشرة.

نشوء اللغات الإسلامية

قضي على اللغات في كل عصر ومصر أن تقتبس بعضها من بعض ما يعوزها من الألفاظ لتعبر بها عن الإكثار الحديثة والعربية والفارسية والتركية لم تختص من هذا القانون. فاقبست أولاً من اللغات السامية ومن اليونانية ثم من أهم لغات أوروبا الحديثة ولاسيما من الفرنسية كما اقبست كمية وافرة من الألفاظ للإفصاح عن الأفكار التي ليس في معجمها ما يدل عليها ثم هجرت تلك الألفاظ الأعجمية هجوماً كثيراً كادت تأتي معد على مفردات تلك اللغات نفسها فقامت تريد الرجوع إلى أصولها وهب القوم يبنون من اللغات الإسلامية الثلاث تعابير رأوها وحشية ويستعصون عنها بألفاظ يشقونها من المادة الأصلية في العربية والفارسية والتركية أو بألفاظ موجودة ولكنها أُطلقت على معاني جديدة.

ومن الضروري أن لا يفوتنا النظر بأن أصحاب هذه اللغات اليوم يريدون الرجوع بنعائهم إلى أصولها الصحيحة ويطرحون الألفاظ التي ليست لهم مدفوعين إلى ذلك بتأثيرات الدعوة إلى الوطنية في البلاد الإسلامية. وهذه الحركة في الرجوع بهذه اللغات إلى أصولها لا ترمي إلى نبذ الألفاظ الإفرنجية فقط بل إلى أن القوم في فارس يطرحون إلى

حذف التعابير العربية وفي البلاد العثمانية كما هو سائر البلاد التركية يحاولون طرح الألفاظ العربية والفارسية. ويبحث الأدباء من أهل هاتين النخين فيما لديهم من الألفاظ الإيرانية والتورية عن الألفاظ التي كان من تأثيرات الفاتحين أو من رغبة المغنوبين في إظهار معرفتهم بنغة غاليهم إن زهد فيها واستعملت ألفاظ أقل منها انطباقاً مع الروح التركية والفارسية وإن كثر استعمالها وعدت أو كادت من مادة اللغة الأصلية.

جرت اللغات الإسلامية كاللغات الأجنبية في اقتباسها على طريقتين عنية وعامية فالعامية يقتبسون على أيسر وجه من الألفاظ ما يتكرر على مسامعهم دائماً أو ما يفصح عن أفكار لا مقابل لها في لغتهم الأصلية ولقد عرفت منذ القديم القوانين التي تجري عليها في الاقتباس فالأسماء تنتقل من لغة إلى أخرى بأعظم ما يكون من السرعة وأقل من ذلك انتقال الصفات وفي النادر اقتباس الظروف ويشدُّ أو لا يكاد يكون أثر لاقتباس الأفعال. ومن اللغات ما إذا نظر فيه إلى المفردات يمكن وصفه باللغات المختنطة وهي تتألف في البلاد التي عرفت بتجارة المقايضة ولا سيما في الموانئ البحرية مثل لغة البيجين في الشرق الأقصى وهي مزيج من اللغة الإنكليزية والصينية ولغة السايبر مؤلفة من العربية والفرنسية والإسبانية والإيطالية أو اللغة الإفريقية وهي مجموعة من كلمات مقتبسة من جميع لهجات البحر المتوسط من البلاد التي تمتد من سورية إلى مراكش ولا بأس باعتبار اللغة المالطية من هذا الضرب من اللغات وإن أصبح لها صحافة وآداب منذ عهد ليس بعيد ولكنها لم تعد تحسب لهجة عربية تكون صلة بين لغة مصر والمغرب جامعة إلى نحوها الذي هو كنحو اللغات السامية مفردات إيطالية وبعبارة أصح صقلية في الأكثر وكتابتها لاتينية.

وما عدا هذه اللغات المشتركة البحرية التجارية خصوصاً فقد تألفت في البلاد الإسلامية التي استولى عليها الأوروبيون لهجة عامية دخلتها ألفاظ من لغات الفاتحين واصطلاحات دراوين الحكومة وأرباب الصناعات وهكذا نجد قرارات الحكومة الفرنسية في الجزائر كانت تكتب زمناً بلهجة محرفة ممزوجة بكلمات فرنسية نقنها المترجمون بجهل منهم أو كسل فيهم على حالها ولم يعنوا بترجمتها ونرى جند الرماة والمشاة هناك يستعملون لغة هي أخرى بها أن تكون مما تواطأوا عليه بينهم وهي خليط من التعابير الفرنسية المحرفة كثيراً بحيث يصعب الامتداء إلى معرفتها غالباً.

ولكن هذا لا يصح على الإطلاق إلا على اللغة المحكية وكتابات من لم يعلموا. أما اللغة الأدبية التي مست حاجتها كذلك إلى إيجاد تعابير جديدة فقد عمدت إلى طرق عديدة في الاقتباس فبدأت بنقل ألفاظ أوروبية كما هي أو بتعدينها قليلاً حتى توافق التنفط اخني وهذه هي الطريقة التي كانت تعتمد إليها اللغة العامية ومضى زمن كانت هي المعول عليها أما فكر الرجوع بتلك اللغات إلى أصولها فلم ينشأ إلا في السنين الأخيرة فاللغة العربية الغنية بمفرداتها ولها من الاشتقاق موارد كثيرة فقد عمدت إلى ما في متنها من المفردات فاشتقت منها وكذلك كان من الفارسية وإن كانت لا تستغني بعض الأحيان عن الألفاظ العربية. أما التركية التي افتقرت بتأثير اللغات الأجنبية فيها فقد أخذت بادئ بدء من العربية والفارسية وهي تحاول منذ مدة الاكتفاء بما عندها باستعمال التعابير التركية القديمة التي كادت تتلاشى.

ما هي المؤثرات التي عرضت للغات الإسلامية من اللغات الأجنبية؟ إن أقدم النصوص العربية التي انتهت إلينا هي الأشعار التي قيلت قبل الإسلام والقرآن نفسه لا يخلو من

بعض ألفاظ أصلها فارسي. وذلك لأن الصلات بين الفرس والعرب كانت قديمة متحركة فأخذت العربية عن اللغة المجاورة لها بعض الألفاظ. فمن ألفاظ القرآن الغير العريقة في العربية إبريق وسجيل. واقتبست اللغة الآرامية اللغة العربية بعض ألفاظها أيضاً فإن اتحاد أصول هاتين اللغتين والمناسبة القوية في تركيبهما قد جعلت الأخذ منها سهلاً للغاية. وكذلك الحال في اللغة العبرانية فقد اقتبست العربية بعض الألفاظ وأكثرها ديني فمنها جهنم ومنك واقتبست اللغة الرومية منذ عهد بعيد بعض الألفاظ للفتين العربية والفارسية مثل سجل وسندس وانتقلت هذه إلى العربية ووردت في القرآن عن طريق الفارسية.

ولقد نشأت في فارس لغة صناعية وأعني بها البهوية واستعملت الخط السامي واستعاضت عن المفردات الإيرانية بما يقوم مقامها من المفردات الآرامية وتصريفها يجمع بين تصريف اللغتين ولكن النهجة الشائعة من هذه اللغة غير متأثرة كثيراً بالنفوذ الغريب إلى زمن الفتح العربي. ولا حاجة إلى ذكر ما أصاب اللغة الإيرانية من التبدل بالفتح فقد سرت إلى لغة الجمهور ألفاظ كثيرة دينية وعامية. واعتمدت فارس في كتابتها على الخط العربي.

أما الأتراك فالظاهر أنهم لم يقتبسوا ألفاظاً كثيرة من جيرانهم قبل أن يدينوا بالإسلام هذا إذا استثنينا منهم المغول. وربما أخذوا قديماً بعض الألفاظ من الصين وفارس حتى إذا التحنوا للإسلام كثرت في لغتهم الكلمات العربية والفارسية. ونرى العربية إلى عهد ظهور الإسلام تقتبس من الفارسية والسامية والآرامية خصوصاً واليونانية ودام هذا الاقتباس وارتقى ارتقاءً ظاهراً على عهد خلفاء الأمويين والعباسيين. وظلت اللغات

الفارسية والسريانية والرومية بحسب الأقطار لغات الإدارة في المنكبة العربية ولا عجب من ثم أن أدخلت إلى لغات الفاتحين عدداً كبيراً من الألفاظ العلمية. وكان من درس فلاسفة يونان ورياضيهم وكمياريهم وطبيعيهم أن سرت إلى العربية من اليونانية اصطلاحات علمية.

وفي الحروب الصليبية دخلت إلى اللغة العربية ألفاظ مختلفة اقتبسها من لغات الشعوب التي اختلط بهم المسلمون ولكن ما أخذته هو من الأفاصيص محدود معدود ولم تدخل على اللغة العربية الألفاظ الغربية إلا في القرون الحديثة الموافقة لارتقاء العثمانيين في آسيا وأوروبا. أما تأثير اللغات الأوروبية في العربية فلم يكد يشعر به إلى الدور الأخير وهو أقل من ذلك في الفارسية بالنظر لبعدها الجغرافي.

ومن أراد الآن أن يبحث في تأثير كل لغة أوروبية في اللغات الإسلامية منذ زمن النهضة فيقرر ما يأتي: إن أثر اللغة الافرنسية كبير جداً وقد فاق غيره في جميع العالم الإسلامي في البحر المتوسط وآسيا السالفة ولكن أثرها بالنسبة لغيره حديث العهد وكانت البواعث إليها:

- ١ — الاصطلاحات التي جرت في البلاد العثمانية على عهد السلطان محمود.
- ٢ — تنظيم محمد علي لمصر نحو ذاك العهد أيضاً وما تركه الفرنسي من ألفاظهم فيها بعد هزيمتهم على مصر سنة ١٧٩٩
- ٣ — فتح الجزائر.
- ٤ — الصلات التي نشأت بين فرنسا وقارص وقد بدئ بها في أوائل القرن التاسع عشر على أيدي بعثة جوبر والقائد غاردان ثم أعيدت بعيد حين.

5 — شدة ميل المسلمين في البلاد العثمانية ولا سيما في فارس لتعلم الآداب الفرنسية والانطباع بالأفكار الفرنسية.

وأنت ترى بهذا أن نفوذ فرنسا في الشرق غير بعيد العهد لا يتجاوز القرن الواحد وهو قوي للغاية على الرغم من تقلص ظل سياستها من البلاد العثمانية مدة من الزمن وعلى تدخل إنكلترا في مصر وقلة علائقنا مع فارس فتأيد نفوذنا أبداً في تلك البلاد التي لم يبق فيها أولئك الشعوب الذين هم أكثر منا مضاءً في الأمور السياسية والاقتصادية شيئاً من لغاتهم إلا القليل الذي لا يؤبه له ولا ننسى أن تأثير اللغة الفرنسية قد استحكم في اللغات التترية في روسيا ولكن لا مباشرة بل دخنتها الألفاظ من الفرنسية بواسطة اللغة الروسية أو اللغة التركية العثمانية.

أما تأثير اللغة الإنكليزية فضعيف وهو مقصور على الصحافة العربية في مصر والصحافة الفارسية في الهند (بقطع النظر عن اللغة الهندستانية وسائر لغات الهند الوطنية) التي تعتمد كل حين إلى استعمال كمية من الألفاظ الفرنسية وليس الإنكليزية في فارس غير أثر ضئيل جداً ولا أثر لها في التركية إلا ما كان من بعض التعبيرات العنمية والبحرية وأكثرها في السباق وأنواع الارتياض.

وبعد ذلك فإن تأثير اللغة الإيطالية قديم ثابت باق فهو يرد إلى الزمن الذي كانت فيه البندقية دولة بحرية قوية في البحر المتوسط وما زالت اللغة التركية العثمانية منذ ذلك العهد تأخذ عن اللغة الإيطالية جملة من الألفاظ لا العنسي منها فقط (مثل ألفاظ الملاحة والتجارة والصناعة وغيرها) بل ألفاظاً شائعة في الاستعمال وكان للغة العثمانية أن تكتفي

بما عندها من مقابل لها مثل لفظة فامنيا التي تتجنى فيها النهجة البندقية كل التجنى وكذلك كان من

اللغة الصقلية أن شغنت مكاناً مهياً عنى نحو ما رأيناه آنفاً في أن جزءاً من المفردات المالطية مأخوذ منها. ودخل عنى اللغة في تونس كثير من الألفاظ الإيطالية وقد لاحظ أحد العارفين أن هذه الألفاظ لا تستعمل إلا في الكلام الدارج أما اللغة المكتوبة فنقحذ للغاية ولذلك لا نستعملها. وفي مصر ترى بعض الألفاظ الإيطالية والظاهر أن بعضها سرت إليها بواسطة اللغة التركية مثل كلمة سيفورتا (الضمان أو التأمين).

واللغة اليونانية الحديثة أدخلت كالإيطالية عنى اللغة التركية العشانية ألفاظاً كثيرة فإن ما وصل إلينا من النصوص القديمة يبين أن تاريخ الصلة بينهما يرد إلى ما قبل القرن الخامس عشر ولفظة أفندي الغريبة التي ذكر السير جان بيشاري تاريخها وما تقلب عندها من البديل الغريب في الصورة والمعنى هي من جملة تلك الألفاظ.

وفي لغة عرب المغرب جملة من الألفاظ ومنها ما هو من أصل إسباني وهي مألوفة الاستعمال في مراكش فقد كان للبرتغاليين أثر كبير في هذه البلاد فكيف يتأتى أن لا يتركوا فيها شيئاً من لغتهم وإذ كانت المناسبة قوية بين الإسبانية والبرتغالية وكان سكان مراكش يحرفون ما يقتبسونه عن الأوروبيين من الألفاظ فمن الصعب أن يتميز في هذه الاقتباسات ما سرى إلى تلك اللغة من اللغة البرتغالية خاصة.

ولقد كانت الألفاظ الألمانية التي سرت إلى الشرق قديمة جداً وقال بعضهم أن لفظة غروش التركية مأخوذة من غروش الألمانية ولكن بعد البحث الدقيق في المعجم العشاني تبين أنه لم يسر إلى التركية إلا ألفاظ جزئية من التعبيرات الجرمانية.

وهنا نتقل إلى اللغات الصقلية (السلافية) فنرى لغات البنقان قد نقلت إلى التركية عدداً جزئياً من التعابير ومنها بعض الألفاظ العسكرية وهي من جملة الألفاظ القديمة في تنظيم الجيش العثماني. واللغة الروسية أكثر سرياً ولكنها مقصورة على اللغات التتارية في القرم وقازان وقافقاسيا وآسيا الوسطى فهي لم تعد تلك التخوم فالألفاظ الروسية في البلاد العثمانية الإيرانية نادرة للغاية. ويجب أن لا يفوتنا أن ما تقتبسه اللغات التتارية أو الروسية هي في الأغلب من أصل فرنسي أو ألماني أو إيطالي. وما ذكرناه فيما تقدم عن اللغات الصقلية البنقانية ينطبق أيضاً على اللغة الجرية ولكن اللغة الأرناؤدية والأرمنية وغيرهما من النهجات الخكية في البلاد التي يتكلم فيها بالتركية لم تؤثر إلا قليلاً بهذه اللغة.

وهنا نأتي على تأثير اللغة التركية في فارس حيث تحكم اليوم أسرة قاجار فنجد كثيراً من التعابير والمعاني المختلفة مأخوذة من التركية مثل الأعداد وألقاب الشرف وأسماء المناصب والمراتب. ومثل ذلك يقال عن اللغة العربية في مصر فإنها أخذت أسماء الرتب العسكرية التي دخلت إلى البلاد العثمانية بعد الإنكشارية ولم يدخل على أسماء الرتب من التعديل إلا ما لا غنية عنه لتلفظ العربي. وترى في طرابلس الغرب الخاضعة لحكم العثماني جميع هذه الألفاظ شائعة بالاستعمال وتجد ألفاظاً أخرى تركية مستعملة في تونس بل وفي الجزائر حيث أبقت الحكومة الفرنسية رسمياً على بعض الألقاب التي اخترعها العثمانيون مثل آغا وباشا عدل وخوجه وجاويش وغيرها وما عدا لغة البربر التي سرت بعض ألفاظها إلى اللغة المغربية.

أما اللغة الهندستانية فلم يدخل منها إلا بعض الألفاظ النادرة إلى الفارسية أما اللغات الشرقية الأخرى فلا تعثر عليها بين الألفاظ العربية والفارسية والتركية إلا نادراً جداً.

وهما نحن نبدأ الآن بالكلام على كل واحدة من اللغات الإسلامية الثلاث فنستفتح بالعربية. فقد رأينا هذه اللغة قبل ولا سيما بعد ظهور الإسلام قد أخذت عن اللغات السامية كالعبرانية ولا سيما الآرامية والفارسية واليونانية. وحمل الصليبيون إلى العربية بعض الألفاظ الجديدة خلافاً لما يعتقد بعضهم ويظفر هذه الألفاظ في كلام المؤرخين ولكنها لم تمر إلى اللغة المحكية ولا إلى اللغة المكتوبة فمن الأمثلة الغربية استعناهم لفظة ترم بمعنى المدفوع وجمعهم له على تروم كما في تاريخ أبي شامة ولكنه من الصعب أن ترى هذه اللفظة في كلام آخر. وأخذت العربية من الإفرنج بعض الألقاب النصرانية مدنية كانت أو دينية مثل قومس كونت وكاغيكوس أو كاتوغيكوس (بطيريك) وبعض التعابير الحربية واللغة المالطية التي هي لسان شعب خاضع للحكم الميحي ومتدين بدينه قد اقتبست بالطبع من اللغات الغربية أموراً كثيرة.

ولم يبدأ دخول الألفاظ الأجنبية ولا سيما الافرنسية على العربية إلا في أوائل القرن التاسع عشر دخنت بكثرة حتى أن القائمين بتطهير اللغة من الدخيل قد دهشوا لها. ثم إن دخول تعابير إفرنسية كثيرة إلى اللغة الرسمية أي التركية في سورية ومصر قد نشأ منه أثر في اللغة الوطنية وازدياد صلات الشرق مع أمم الغرب ودخول الأفكار الفرنسية وتأييد الحكم الفرنسي على الجزائر وتونس ولا سيما إنشاء صحافة عربية حذا فيها أهنها حذو الصحافة الأوروبية كل ذلك مما دعا إلى تحول اللغة.

وذلك أن الصحافة هي التي أحدثت اللغة العربية الحديثة في الجسنة وهي تختلف عن لغة القرآن كما تختلف عن لغة الرومانيك عن اللغة الرومية القديمة هكذا قال المسير واشنطون سروس الملحق بقنصلاتو البنجيك في بيروت منذ ثلاث عشرة سنة في مقدمة كتاب مهم للغاية وضعه في وصف هذه اللغة الحديثة وعلى ما فيه من الأغلاط والنقص القليل فإن هذا الكتاب الذي لم يؤلف على مثاله قد نفع وينفع كثيراً وهو عبارة عن مقدمة عرض فيها المؤلف هذه المسألة على وجه جلي مفصل مشفوعاً بقائمة لنصح التي كانت تشر إذ ذاك مع تاريخ إنشائها وهي قائمة ثمينة وإن كانت فهارس الرجوع إليها مختصرة وبعض الاغذجات من كلامها تأليفاً كانت أو ترجمة فأتى فيها أولاً على الجرائد ثم على المواد الرسمية ثم على معجم لغوي مفيد وهو وحده يفسر الكائنات المولدة.

ومن رأي المؤلف أن اللغة الحديثة قد نمت في غضون خمسين سنة بسرعة هائلة وهذا النشوء يظهر خاصة من نشوء العربية المحكية أو المكتوبة قبل ظهور الجرائد فقد كانوا يكفون بأن يأخذوا عن اللغات الأجنبية بعض المفردات الدخيلة اللازمة لهم من دون أن يعدلوا صورتها التعديل اللازم لها في الظاهر.

(لبحث صنة)

مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام في الجن

ليعلم أن من المسائل الجديرة بالعناية وبذل الجهد للنووقف على ما قيل فيها وكتب عنها (مسألة الجن) فقد تنوعت في شأنها المشارب وتعددت في مباحثها المذاهب وكان للأعراب معها في الجاهنية محيل ولها في كل عصر لغات جديدة وعجائب ولا غرو فهي

من أقدم المسائل وأرسخها في الأذهان إذ دار اسمها على كل لسان وورد ذكرها في جماع النحل والأديان.

إن مسألة كمسألة الجن ليست مما تدرك بلفظة أو يشار إليها بلحظة حتى لا يرفع لها الحشوي رأساً ولا يقيم لها الجامد وزناً قلوصت شواردها وقيدت أوابدها وانتظمت فراندها لعثر على الجرم من الطائف الفاتقة والنوادر الرائعة مما يمدك السمع والبصر إعجابه ويرتفع عن القلب للإصغاء حجابيه.

كل مسألة لا يتناولها الفهم في بداية النظر ولا يصل إليها إلا بالاستعانة من درس أمرها وسر فلا بد من بحث عنها وتنقيب واستقراء وتنقيب لا سيما أن ثلث ذات شعوب وأطراف وفروع وأوصاف لا جرم ينبغي استقراؤها وتعرفها واستجلاؤها اكتشافاً لما خبأت كنوز الحقيقة ووقوفاً على كل جنبلة دررها ودقيقة.

أكثر من ألف في العلم الإلهي أو ما وراء المادة تكمن في (الجن) فبوجز ومهيب ومقارب ومغرب والواقف على ما كتبه فلاسفة الإسلام يراه قريباً مما نحاه عناء أهل الكتاب في شأنهم اللهم إلا في خيالات شط بها البحث فبعدت عن القصد شأن كل شيء جاوز حده.

من استقرأ ما كتب وبذل جهده في التقيب يمر به من عنوم الأوائل ما يغني عن زهر الرياض حسنه وعن فتيق المسك نشره فمن تأمنه ازداد حرصاً على تأمنه وتصفح متعبداً ما يتحليه من فوائده.

الطريقة المثلى والخطوة الوسطى هي أخذ المهم وإيثار الأجود من كل شيء وهذا ما توخيناه في هذه المسألة مما طالعناه وإلا فسعة علم السنف مما يدهش الخلف فليس لنا إلا

المختار من آرائهم والمنتقى من أنبائهم والله ابن المقفع إذ قول فنتهى عالمنا عنم في هذا الزمان — زمانه رحمه الله — أن يأخذ من عندهم غاية إحسان محنتنا أن يقتدي بسيرتهم وأحسن ما يصيب من الحديث محدثنا أن ينظر في كتبهم.

إن استقصاء ما للقدماء في (مسألة الجن) واستقراءه كنه يعوز إلى عدة مجندات وسعة أوقات والحاجيات كثيرة والمطالب وفيرة لذا آثرنا جمع شذرات تكشف عن وجهها نقابها ونجني سدف عريصاتها لطلابها.

ينحصر ما نأثره في هذه المسألة في مقدمة ومقصدتين وخاتمة.

أما (المقدمة) فحكى فيها ما قاله فلاسفة اللغة في شرح المراد من الجن واشتقاقه وعمومه وخصوصه وحقيقته ومجازة.

وأما (المقصد الأول) ففي مذاهب الأعراب ومزاعمهم في الجن وقد حوى أحد وعشرين مبحثاً:

(أ) من ادعى من الأعراب والشعراء أنهم يسعون عريف الجان ويرون الفيضان وما يشبهونه بالجن والشياطين وبأعضائهم وأعدائهم.

(ب) إضافتهم مباني تدمير وأمتائها إلى الجن.

(ج) تفرقتهم بين مواضع الجن.

(د) ترتيبهم الجن في مراتب.

(هـ) زعمهم أن الغول من أنثى الجن وكذلك السعلاة.

(و) زعمهم أنهم يظهرون لهم ويكنونهم ويناكحونهم.

(ز) مزاعمهم في الهاتف والناقل والرني.

(ح) ما روي من متوفهم بالبعثة الخمدية.

(ط) مزاعهم في أوصافهم ومن قتلوه.

(ي) من استهوه ومنهم خرافة.

(يا) توصفهم رجل الغول وعين الشيطان.

(يب) نزاعهم في أرض وبار وبلاد الحوش.

(يج) مزاعهم في الصرع.

(يد) مزاعهم في الطاعون.

(يده) ما يزعمونه في تمثيلهم وتصورهم.

(يو) رأيهم في قرناء الشعراء الفحول.

(يز) خيالهم في جن الشام والهند.

(يح) توهمهم ملامح الجن في الأنس.

(يط) قولهم في جنون الجن وصرع الشيطان.

(ك) ما يحكونه من نيران السعالي والجن.

(كا) فلسفة ما تزعمه الأعراب من عزيز الجان وتقول الفيلان.

(وأما المقصد الثاني) ففي آراء فلاسفة الإسلام في الجن (أ) ابن سينا (ب) أبو طالب المكي

(ج) الغزالي (د) ابن حزم (هـ) الفخر الرازي (و) القاشاني (ز) الماوردي (ح) القاضي

أبو يعنى ابن الفراء (ط) ابن تينية (ي) ابن القيم (يا) الأتاذ الإمام الشيخ محمد عبده.

إنما تأثرت مذاهب الأعراب بما أثر عن الأئمة في هذه المسألة انتقالاً إلى الجدل في مباحثها

إذ المقاصد الأول أشبه بالجمام والمشرح لما شاب جده من مخاريق ومخايل وختت البحث بمتفرقات من شوارد هذه المسألة تيمناً لفوائده وتأييداً لمقاصده.

ليس لنا من مزية فيما أثرناه إلا انتقاء المهم مما طالعناه وترتيبه على هذا الأسلوب نسأل تعالى أن يمن علينا بتتوير القنوب ويدخلنا في عباده الذين يؤمنون بالغيوب.

المقدمة

فيما قاله فلاسفة اللغة في الجن

قال الراغب الأصبهاني في مفرداته في مادة جن: أصل الجن ستر الشيء عن الحاسة يقال جنه النيل وأجنه والجنان القنب لكونه مستوراً عن الحاسة والجنة كل بستان يستر بأشجاره الأرض (ثم قال): والجن يقال على الروحانيين المستورة عن الحواس كلها بأزاء الأنس وسياقي تنمة كلامه.

وقال الزمخشري في أساس البلاغة: جنه ستره فاجن واستجن بجنة استر بها واجن الولد في البطن وأجنه الحامل وواراه جنان الليل أي ظلمته وفلان ضعيف الجنان وهو القنب وجات الأرض بالنبات ولا جن بكذا أي لا خفاء به قال سويد: (ولا جن بالبغضاء والنظر الشزور).

ونقل الإمام ابن جرير في سورة البقرة في تفسير آية وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فجدوا إلا إبليس أن استناده من الملائكة يدل على أنه منهم وعن ابن اسحق أن العرب يقولون: ما الجن إلا كل من اجتن فلم يروا أن آية إلا إبليس كان من الجن أي كان من الملائكة وذلك أن الملائكة اجتنوا فلم يروا وإن آية وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً

إشارة لقول قريش أن الملائكة بنات الله (قال) وقد قال الأعشي — أعشى بني قيس بن ثعلبة البكري وهو يذكر سليمان بن داود وما أعطاه الله:

ولو كان شيء خالداً ومعبراً ... لكان سليمان البري من الدهر

براه إلهي فاصطفاه عباده ... ومنك ما بين ثريا إلى مصر

وسخر من جن الملائكة تسعة ... قياماً لديه يعملون بلا أجر

(قال) فأبنت العرب في لغتها إلا أن الجن كل ما اجتنى يقول: ما سمي الله الجن إلا أنهم اجتنوا فلم يروا وما سمي بني آدم أنساً إلا أنهم ظهروا فلم يجتنوا فمنا ظهر فهو أنس وما اجتنى فلم ير فهو جن.

ثم قال ابن جرير: وأما خبر الله عنه أنه من الجن فقير مدفوع أن يسمى ما اجتنى من الأشياء عن الأبصار كنها جنّاً كما ذكرنا قبل في شعر الأشي فيكون إبليس والملائكة منهم لا جتناهم عن أبصار بني آدم:

وقال الراغب الصباهي في مفرداته: الجن يقال عنى وجهين (إحداهما) للروحانيين المسترة عن الحواس كنها بازاء الأنس فعلى هذا تدخل فيه الملائكة والشياطين فكل ملائكة جن وليس كل جن ملائكة وعنى هذا قال أبو صالح: الملائكة كنها جن وقيل بل الجن بعض الروحانيين وذلك أن الروحانيين ثلاثة (أخيار) وهم الملائكة (وأشرار) وهم الشياطين (وأواسط) فيهم أخيار وأشرار وهم الجن ويدل عنى ذلك قوله تعالى قل أوحى إليّ إلى قوله عز وجل وإنا منّا المنون ومنّا القاسطون.

من ادعى من الأعواب والشعراء أنهم يرون الغيلاّن ويسمعون عزيف

الجان وما يشبهونه بالجن والشياطين وبأعضائهم وأعمالهم

أنشد أعرابي:

كأنه لما تدانى مقربه ... وانقطعت أودامه وكربه
وجاءت الخيل جميعاً تدنبه ... شيطان جن في هواء يرقبه
أذنب فانقض عليه كوكبه
وأنشد:

إن العقيلي لا تنقى له ش بها ... ولو صبرت لتنقاه على العيس
بينما تراه عليه الخز متكتاً ... إذ مر يهدج في حش الكرايش
وقد تكفه عرامه زمناً ... أشباه جن عكوف حول إبليس
إذ المفاليس يوماً حاربوا ملكاً ... ترى العقيلي منهم في كراديس
وقال أبو الخطفي:

يرفعن بالليل إذا ما أسدفا ... أعناق جنان وهاماً رجفا
وعنقا بعد الرسيم خيطفا
وأنشد ابن الأعرابي:

غناء كنيي يرى الجن يتغي ... صده إذا ما آت للجن أيب
وقال الأعشى:

فبني وما كنتصوني اتباعه ... ليعنم ري من أعق وأحويا
كالثور والجن يضر بظهره ... وما ذنبه إن عافت الماء مشربا
وقال الرقياني:

بين النهي منه إذا ما مدا ... مثل عزيز الجن هدت مدا

وقال ذو الرمة:

قد أعسف النازح أخيهول معسفه ... في ظل أخضر يدعو هامه اليوم
لنجن بالليل في أرجائها زجل ... كما تناوح بين الريح عيشوم
دوية ودجى ليل كأنها ... يم تراطن في حافته الروم

وقال:

وكم عرست بعد السرى من معرسن ... بها من صداء الجن أصوات سامر

وقال:

كم جبت دونك من بهاء مظلمة ... تيه إذا ما مغنى جنه سمرا

وقال:

ورمل لعزف الجن في عقداءه ... هرير كتضراب المغنين بالطل

وقال:

وتيه خبطنا غولها وارغمى بنا ... أبو البعد من أرجائه المتطارح

فلاة لصوت الجن في منكراتها ... هرير وللأبوام فيها نواح

وطول اغتنامي في الدجى كنما رعت ... من النيل أصداء المثاني الصوائح

ويقولون لمن به لقوة أو شتر إذا شبّ بالطيم الشيطان ويقولون لمرجل المفرط الطول يا
ظل النعامة وللتكبر الضخم يا ظل الشيطان.

وكان عمر بن عبد العزيز أول من فهم الناس عن حمل الصبيان على ظهور الخيل يوم
الحنبة وقال: تحمون الصبيان على الجنان وأنشد في تشبيهه ال، س بالجن لأبي الجويرية
العبدى:

أنس إذا أمنوا جن إذا فرعوا ... مُرَزَّوْنٌ بهاليل إذا حشدوا

وأنشدوا:

وقنت والله لترحننا ... قلاتصاً تحسهن جنتنا

وقال ابن الزواند:

بحور خفض لمن ألم بهم ... آخيته عمري إذا خطرنا

وأنشدوا:

إني امرؤ تابعتي شيطانيه ... آخيته عمري وقد آخانيه

يشرب في قعبي وقد سقانيه ... فالحنن لله الذي أعطانيه

وقال عبيد بن أوس الطائي:

هل جاء أوساً لينتي ونعيمها ... ومقام أوس في الخياء المشرح

ما زلت أطوي الجن أسمع حسهم ... حتى دفعت إلي راق المروج

وأنشد آخر:

ذهبتم وعدتم بالأمر وقتم ... تركنا أحاديثاً ولحناً موضعاً

فما زادني إلا سناء ورفعة ... ولا زادكم في القوم إلا تخشعا

فما نفرت جني ولا قلّ مبردي ... ولا أصبحت طيري من الخوف وقعا

وأشعارهم في هذا المعنى تفوت الحصر.

إضافتهم مبابي تدمر وأمثالها إلى الجن

قال النابغة الذبياني:

ألا سليمان إذ قال الإله له ... قم في البرية فاحدد لها عن الفند

وخيس الجن ألي قد أذنت لهم ... يبنون تدمر بالصُّفّاح والعند

قال الجاحظ: وأهل تدمر يزعمون أن ذلك البناء قبل زمن سليمان عليه السلام بأكثر مما
بيننا اليوم وبين سليمان بن داود عليها السلام قالوا ولكنكم إذا رأيتم بنياناً عجيباً
وجهنتم موضع الحينة فيه أضفتوه إلى الجن ولم تعانون بالفكر. وقال العرجي:

سدت ممامعها لقرع مراحل ... من تسج جن مثله لا ينسج

وقال الأصمعي السيف الماثورة هي التي يقال أنها من عمل الجن لسليمان بن داود
عليها السلام فأما القوارير والحنايات فذلك ما لا شك فيه. وقال البعث:

بني زياد لذكر الله مصنعة ... من الحجارة لم تعمل من الطين

كأنها غير أن الأنس ترفعها ... مما بنت لسليمان الشياطين

وقال الأعشى في بناء الشياطين لسليمان:

أرى عادياً لم يمنع الموت ربه ... وورد بتيساء اليهودي أبلق

بناه سليمان بن داود حقبة ... له جندل صم وطى موثق

تفرقهم بين مواضع الجن

قال الجاحظ: كما يقولون تنقذ برقة وضب محا وأرنب الخنة وذئب همر فيفرون بينها
وبين ما ينسب لذلك أما في السمن وأما في الخبث وأما في القوة كذلك أيضاً يفرون بين
مواضع الجن فإذا نسبوا الشكل منها إلى موضع معروف فقد خصوه من الخبث والقوة
والعرامة بما ليس لجملتهم وجهورهم قال لبيد:

غنب تشذر بالدحول كأنها ... جن البدي رواسيا أقدامها

وقال النابغة:

سهكين من صدأ الحديد كأنهم ... تحت النصور جنة البقار

وقال زهير:

عليهن فتيان كجنة عبقر ... جديرون يوماً أن ينيفوا فيسثعلوا

وقال حاتم:

عليهن فتيان كجنة عبقر ... يهزون بالأيدي الوشيح المقوما

تزينهم الجن في مراتب

قال الجاحظ: ثم يترلون في مراتب فإذا ذكروا الجني سالماً قالوا جنى. فإذا أرادوا أنه ممن
مكن مع الناس قالوا عامر والجميع عمار. وإن كان ممن يعرض لنصيان فهم أرواح فإن
حيث أحدهم وتعزم فهو شيطان. فإن زاد على ذلك في القوة فهو عفريت والجميع
عفاريت. وهم في الجنة جن وخوافي قال الشاعر:

ولا يحس سوى الخافي بها أثر

فإذا ظهر الجني ونطق واتقى وصار خيراً كنه فهو ملك في قول من تأول قوله كان من
الجن ففسق عن أمر ربه على أن الجن في هذا الموضع الملائكة وقال آخرون: كان منهم
على الإضافة إلى الدار والديانة لا على أنه كان من جنهم وإنما ذلك على قولهم:
سنان بن يزيد العدوي وسنان بن طوحان التيمي وأبو علي العبدري وعرو بن قائد
الأسواري: أضافوهم إلى الحال وتركوا أنسابهم في الحقيقة:

وقال آخرون: كل مستجن فهو جني وجان وجنين وكذلك الولد في البطن قبل له جنين
لكون في البطن واستجنان وقيل للميت في القبر جنين وقال عمرو بن كثر:

ولا شطاء لم تدع المنايا ... لها من تسعة إلا جنيها

يخبر أنها قد دفتهم كنهم قالوا وكذلك الملائكة من الحفظة والحملة والكروبيين فلا بد من طبقات وربما فرق بينهم بالأعمال واشتق لهم الأسماء من السبب كما قالوا لواحد من الأنبياء خيل الله وقالوا لآخر كلم الله وقالوا لآخر روح الله. والعرب تقول الشجعان في المراتب والاسم العام شجاع ثم مهنة أليس هذا قول أبي عبيدة.
فأما قولهم: شيطان الحماطة فإنهم يعنون الحية وأنشد الأصمعي:

تلاعب مثنى حضرمي كأنه ... تمنع شيطان بدوي خروج قفر
وقد يسمون الكبر والطغيان والخزوانية والغضب الشديد شيطانا على التشبيه. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: والله لا نزعن نعوته ولا ضربه حتى أنزع شيطانه من نعوته وقال حسان بن ثابت في معنى قوله والله لأضربه حتى أنزع من رأسه شيطانه فقال:

وداوية سبب سملت ... من اليد تعرف جناها

قطعت بعيرانة كالفنيق ... يروح في الآل شيطانها

وأبين منه قول منظور بن رواحة:

أتاني وأهلي بالرماح وغمرة ... مسب عريف اللؤم حتى بني بدر

فلما أتاني ما تقول تقنصت ... شياطين رأسي وانتشين من الخمر

والأعراب تجعل الخوافي والمستجئات من قبل أن ترتب المراتب جنين تقول حن وحن بالجيم والحاء وأنشدوا:

أبيت أهوى في شياطين ترن ... مختلف بخارها حن وحن

ويعملون الحن فوق الجن وقال أعشى سميم:

فما أنا من جن إذا كنت خافياً ... ولست من الناس في عنصر البشر

ذهب إلى قول البشر ناس ونساس والخوافي جن وجن ويقول أنا من أكرم الحيين حيث ما كانت.

وضعفة النساك وأغبياء العباد أن لهم خاصة شيطانياً قد وكل بهم يقال له المذهب يمرج لهم النيران ويضيء لهم الظلمة ليفتنهم ويريههم العجب إذا ظنوا أن ذلك من قبل الله تعالى.

(قال) وأما الخابل والخبيل فإنما ذلك اسم للجن الذين يخبلون ويعرضون ممن ليس عنده إلا العزيف والنوح وفصل أيضاً لبيد بينهم فقال:

أعاذل لو كان البداد لقوتلوا ... ولكن آتانا كل جن وخابل

زعمهم أن الغول من أنثى الجن وكذلك السعلاة

قال الجاحظ: قالوا إذا تعرضت الجنية وتنونت وعشت فهي شيطانة ثم غول. وربما جعلوا الغول اسماً لكل شيء فمن الجن يعرض للسفار ويتلون في ضروب الصور والثياب ذكراً كان أو أنثى إلا أن الأكثر على أنه أنثى وقد قال أبو المضراب عبيد بن أيوب العنبري:

وحالفت الوحوش وحالفتني ... بقرب عهودهن وبالبعاد

وأمسى الذئب يرصدني محشاً ... لحقة ضربتي ولضعف آدي

وغولاً ققرة ذكر وأنثى ... كأن عنيهما قطع البجاد

فجعل في الغيلان الذكر والأنثى وقد قال الشاعر في تلونها:

وما تزال على حال تكون بها ... كما تلون في أثوابها الغول

فالغول ما كان كذلك. (والسعلاة) اسم لواحدة من نساء الجن تغول لتفتن السفار قالوا وإنما هذا منها على العبث أو لعلها إن تفرع إنساناً فيتغير عقله من أجله عند ذلك لأنهم

لم يسنطوا على الصحيح العقل ولو كان ذلك لبدؤا بعني بن أبي طالب وحمزة ابن عبد
المطلب وأبي بكر وعمر في زمانهما وبغيلان والحسن في دهرهما ويواصل وعمر و في
أيامهما وقد فرق بين الغول والسعلاة عبيد بن أيوب حيث يقول:

وساخرة مني ولو أن عينها ... رأت ما ألقىه من الهول جنت
أزل وسعلاة وغول بقفرة ... إذا الليل وأرى الجن فيه أرنت

وهم إذا رأوا الفتاة حديدة الطرف والذهن سريعة الحركة ممشوقة قالوا سعلاة وقال
الأعشى:

ورجال قتلى بجني أريك ... ونساء كائن السعالي

ويقولون تزوج عمرو بن يربوع السعلاة وقال الراجز:

يا قاتل الله بني السعلاة

وفي تنون السعلاة يقول عباس بن مرداس السلمي:

أصابني القوم غول جل قومهم ... وسط البيوت ولون الغول ألوان

وقال عبيد بن أيوب وكان جوالاً في مجهول الأرض لما اشتد خوفه وطال تردده وأبعد في
الهرب:

لقد خفت حتى لو قمر حمامة ... لقنت عدو أو طليعة معشر

فإن قيل أمن قنت هذي خديعة ... وإن قيل خوف قنت حقاً فشر

وخفت خيلي ذا الصفا ورأيتني ... وقيل فلان أو فلانة فاحذر

فمنه در الغول أي رفيقة ... لصاحب قفر خائف متفر

أرئت بنحن بعد لحن وأوقدت ... حوالي نيراناً تنوح وترهر

وأصبحت كالوحشي يتبع ما خلا ... ويطنب مأنوس البلاد المعثر
ومما ذكر الغيلان قوله:

تقول وقد ألت بالأنس لمة ... مخضبة الأطراف خرس الخلاخل
أهذا خنيل الغول والذئب والذي ... بهيم بربات الحمال الكواهل
رأت خنق الأدراس أشعث شاحباً ... عنى الجذب بساماً كريم الشاتل
تعوّد من آبائه فتكاظم ... وإطعامهم في كل غبراء شامل
ومما قال في هذا المعنى:

علام ترى ليني تعذب بالني ... أخا قفرات كان بالذئب يأنس
وصار خنيل الغول بعد عداوة ... صفيّاً وربته القفار البساس
وقال في هذا المعنى:

فنولا رجال يا منيع رأيتهم ... لهم خنق عند الجوار حميد
أنا لكم مني نكال وغارة ... لها ذئب لم تدركوه بعيد
لكل بنو الإحسان حتى أغرتم ... على من يثير الجن وهي هجود
وترعن الأعراب أن الغول إذا ضربت ضربة ماتت إلا أن يعيد عليه الضارب قبل أن
تقضي ضربة أخرى فإنه إن فعل ذلك لم تمت وقد قال شاعرهم:
فتثيت والمقدار يحرس أهله ... فثيت يميني قبل ذلك شنت
وأنشدوا لأبي البلاد الطهوي:

لهان على جهينة ما ألقى ... من الروعات يوم رحا بطان
لفيت الغول تسري في ظلام ... بسهم كالعيابة صحصحان

فكنت لما كلانا نضو أرض ... أخو سفر فصدي عن مكاني
 فصدت وانتحيت لها بعضب ... حسام غير مؤتشب يماي
 فقد سراقها والبرد منها ... فخرت لنبيدين ولنجران
 فقالت زد فكنت رويد إني ... على أمثالها ثبت الجنان
 شددت عقالها وحططت عنها ... لا نظر غدوة ماذا دهاني
 إذا عينان في وجه قبيح ... كوجه امر مشقوق اللسان
 ورجلاً مخدج ولسان كلب ... وجلد من قراب أو شنان
 قال الجاحظ: وأبو البلاد الطهوي هذا كان من شياطين الأعراب وهو كما ترى يكذب
 وهو يعنم ويطيل الكذب ويميزه وقد قال كما ترى:

فقالت زد فكنت إني ... على أمثالها ثبت الجنان
 لأنهم هكذا يقولون يزعمون أن الغول تستزيد بعد الضربة الأولى لأنها تموت من ضربة
 وتعيش من ألف ضربة.
 زعمهم أنهم يظهر ون لهم ويكنونهم ويناكحونهم
 قال الجاحظ: ومن قول الأعراب أنهم يظهر ون لهم ويكنونهم ويناكحونهم ولذلك قال
 شمر بن الحارث الضبي:

ونار قد حصأت بعيد ومن ... بدار لا أريد بها مقاماً
 سوى تجليل راحة وعين ... أكالتها مخافة أن تنام
 أتوا نار فكنت ممنون أتم ... فقالوا الجن قذت عموا ظلاماً
 فكنت إلى الطعام فقال منهم زعيم نحسد الأنس الطعام

وذكر أبو زيد عنهم أن رجلاً منهم تزوج السعلاة وأنها كانت عنده زماناً وولدت منه حتى رأت ذات ليلة برقاً على بلاد السعالي فطارت إليهن فقال:

رأى برقاً فأوضع فوق بكر ... فلأياً ما أسأل وما أعاما

فمن هذا النتاج المشترك وهذا الخلق المركب عندهم بنو السعلاة من بني عمرو ابن يربوع وبنقيس منكبة سباء.

وتأولوا قول الشاعر:

لاهم إن جرهما عبادكا ... الناس طرف وهم تلادكا

فزعنوا أن أباجرهم من الملائكة الذين كانوا إذا عصوا في السماء أنزلوا إلى الأرض كنا قيل في هاروت وماروت فجعلنوا سهلاً عشراً مسج نجماً وجعلنوا الزهرة امرأة بغياً مسخت نجماً وكان اسمها أناهيد. وتقول الهند في الكوكب الذي يسمى عطارد شيئاً بهذا.

ويقول الناس فلان مخدوم يذهبون إلى أنه إذا عزم على الشياطين والأرواح والعمار أجابوه وأطاعوه. فمنهم عبد الله بن هلال الحميري. الذي كان يقال له صديق إبليس. ومنهم كدياس الهندي وصالح الموسوي. وقد كان عبيد يقول أن العامري حريص على إجابة العزيمة ولكن البدن إذا لم يصنع أن يكون هيكلاً لم يستطع دخوله والحينة في ذلك أن يتبخر باللبان الذكر ويراعي سير المشتري ويغتسل بالماء القراح ويدع الجماع وأكل الزهومات ويتوحش في القياقي ويكثر دخول الخرابات حتى يرق وينطف ويصير فيه مشاهدة من الجن فإن عزم عند ذلك فلم يجب فلا يعودن لثنها فإنه ممن يكون بدنه هيكلاً

لما ومضى عاد خبطه فربما جن وربما مات قال فلو كنت ممن يصنع أن يكون لهم ميكلًا
لكنت فوق عبد الله بن هلال.

قالت الأعراب وربما نزلنا بجمع كثير ورأينا خياماً وقباباً وناساً ثم فقدناهم من ساعتنا
والعوام تروي أن ابن مسعود رضي الله عنه رأى رجلاً من الزط فقال: هؤلاء أشبه من
رأيت من الجن ليلة الجن. وقد روي عنه خلاف ذلك.

وقال أبو النجم * بحيث تستن مع الجن الغول * فأخرج الجن من الغول الذي باتت به
الجن. وهذا من عادتهم أن يخرجوا الشيء من الجنة بعد أن دخل ذلك الشيء في الجنة
فيظهر لأمر خاص.

وفي بعض الرواية أنهم كانوا يسمعون في الجاهنية من أجواف الأوثان ههنة وأن خالد بن
الوليد حين هدم العزى رمته بالشرر حتى احترق عامة فخره حتى عودته النبي صلى الله
عليه وسلم قال الإمام الجاحظ رحمه الله تعالى وهذه فتنة لم يكن الله تعالى ليستحق بها
الأعراب من العوام قال وما أشك أنه كان لندنة حيل وألطف لمكان التكسب. ولو
سمعت أو رأيت بعض ما قد أعد الهند من هذه المخاريق في بيوت عبادهم لعلمت أن الله
تعالى قد من على جهنة الناس بالمتكفين الذين قد نشؤا فيهم: يعني عناء الكلام
وفلاسفة الدين عنهم رضوان الله.

يتبع

حكم إفرنجية

من لم يكن يكرم الشيخوخة كان كمن يهدم في الصباح البيت الذي يجب عليه أن ينام
فيه في المساء (كار).

لا يحب المرء أن يحبه الناس إلا لأنه يحب نفسه وربما يجعل له سبباً إلى أن يحب أكثر مما يحب (ديدرو)

كننا أراد أحق أن يكون شقياً يصادف شقياً يبحث عن أحق آخر بومارشيه.
المرء في حاجة إلى غيره سعيداً كان أو شقياً فعمره قصير إذا لم يعيش إلا بنفسه دليل.
التقدم هو النقطة الكبرى ولم يصل إليه أحد منا فكنا أناس سائرون في الطريق كاسباران.

ليس من الأمور العظيمة أن يكون عقل المرء حاداً إذا لم يكن مستقيماً فليس كمال
الساعة الدقاقة بسرعة سيرها بل بانتظام أدائها.
يدفع العمل ثلاث مفاسد: الملل والرهينة والحاجة.
توشك السنطة في البلاد المصابة بالجمود أن تنتقل إلى أيدي المهدارين الساقطين من
الناس.

أفضل السنطات ما لم يشعر المرء بثقل وطأته.
ما من جندي مهتم كان إلى الضعف والضعف إلا ويحب قائدًا في نظر آخرين.
أفضل الأطباء من ركض في البحث عنه زبائنه فلم يجدوه.
النار تغني الماء والماء يطفى النار فلا تدفئ ناكراً الجميل فإنه يطفى شعاعك.
انف ريش البط في القرى وريش المنقاضين في المدن.
حاذر من إظهار مكانتكم لئلا يكثر معادوك.
إني لا أؤثر أن أخدع على أن أعيش أبداً في حذر وهو ابن الجبن وأبو المداواة بوسويه.

لو كنت أعلم شيئاً نافعاً لوطني مضرًا للجنس الإنساني لأبقيت عليه كما أبقي على جريمة ارتكبتها مونتسكيو.

أحرى الناس بالاستماع من يعمل الكلام لتعبير عن الفكر والفكر لبيان الحقيقة والفضيلة فينون.

غرائب الغرب

الطباعة الباريزية

ألمنا مرات في الفصول السالفة إلى تفنن الباريزيين في الأمور الدوقية والطباعة من جملة فنون الدوق وإن كانت تتوقف على علم وفضل تجربة. وأجور الطبع هنا غالية لغلاء الأسعار وأجور الدور والمنازل فالعامل الجيد لا يرزق أقل من نصف ليرة وأقل عامل لا يرزق أقل من أربعة فرنكات في يومه. ولذلك ترى بعض أرباب التجارات وغيرهم من المؤلفين والطابعين يطبعون مجلاتهم وكتبهم في مطابع الولايات لرخص أجورها وجودة طبعها الذي لا يختلف عن المطابع الباريزية في شيء.

ومن جملة المطابع العظيمة التي زرقتها مطبعة الأمة أي مطبعة الحكومة التي أسسها لويز الثالث عشر سنة ١٦٤٠ ثم نقلت إلى قصر الكاردينال روهان من أجل القصور الباريزية القديمة المعروف ببيت أساقفة ستراسبورغ. وقد أنشئت لها بناية هائلة في شارع الكنفانسيون لضيق هذا المكان على سعته البالغ سطحها عشرة آلاف متر مربع.

تدخل من الباب فترى في فناء الدار تماثيل غوتنبرغ ومخترع الطباعة والمخض على الإنسانية معولاً من البرونز فلا تتناك من الدعاء له وذكر يعض أياديه على العالم ثم يأخذك الدليل في الوقت الذي تعينه لك من قبل إدارة المطبعة ويطوف بك قاعات

مسابك الحروف في ثمانين لغة واللغة العربية في مقدمة لغات الشرق رأيناهم في بعض الغرف كتبوا بيتاً من الشعر العربي ليسرن الأستاذ العملة على تعلم هذه اللغة فيحسنوا تنضيد حروفها بفهم.

ثم طاف بنا الدليل قاعات التنضيد والتجديد والطبع والطبي فرأينا كل شيء قد جعل في مكانه اللائق به والعملة والعاملات يعملون في مكان واحد كئفاً إلى كئف وقد يتولى الأعمال الشاقة الرجال من دون النساء. وعدد العاملين والعاملات في المطبعة يناهز الألف والخمسمائة وفيها ما يربو على ستين آلة طابعة على آخر طرز منها خمس آلات من المعروف بالروتاتيف وعلى مثلها تطبع جميع الجرائد الكبرى في اغرب اليوم. وتتفق الحكومة على هذه المطبعة نحو تسعة ملايين فرنك مساهمة وفيها تطبع الجريدة الرسمية ومطبوعات الحكومة والنظارات ومناشيرها وفهارسها وأوامرها فالاستعداد فيها تام لكل ما

تطلب الحكومة طبعه وليس في وقتها متسع لطبع مطبوعات الأفراد وناهيك بمطبعة حوت من الأدوات ما يلزمها من سيك الحروف حتى التجديد وناهيك بكثرة أشغال حكومة الجمهورية التي تقع ميزانيتها وحدها في ثلاثة آلاف صفحة كبيرة يطلب طبعها في وقت قصير وهذا لا يتيسر إلا بمطبعة متقنة جداً.

ولهذه المطبعة معامل لتصوير الشمسي وطبع الصور والطبع الخفور اخوف والحفر على الخشب والحفر على النقش والحفر الناتئ على النحاس والزنك والطبع الملون وطبع الحجر والتصفيح والطبع المنحس وغير ذلك من التفنن في الطباعة. وتسبح المطبعة

بإعارة الطابعين بعض الحروف الغريبة من اللغات الأجنبية ولا تطبع من الكتب إلا ما كان بلغة غريبة لا يوجد من حروفها في كل مطبعة وذلك لحض خدمة المعارف والفنون. هذه جملة ما يقال في مطبعة الأمة ولو جمعت مطابع مصر كلها ما دانتها بالمكانة وكذلك لو جمعت مطابع الأستانة وأضفت إليها مطابع الولايات العثمانية برمتها والمطبعة التي تنفق عليها الحكومة نحو أربعائة وخمسين ألف ليرة في السنة يستحيل على حكومة كالخكومة العثمانية والمصرية أن تقوم بمثلها وهي لا تنفق على المعارف كلها نحو هذا القدر من المال أو أكثر منه بقليل فتأمل.

مدرسة فرنسا

من المعاهد التي استغرقت شطراً كبيراً من وقتي في باريز دروس مدرسة فرنسا (كوليج دي فرانس) لسهولة التلقي فيها في كل علم يحظر في البال ولأن هذه المدرسة ذكرتني بمدارس الإسلام أيام حضارتنا وقد جعلوا العلم مباحاً لكل طالب يلقونه إياه بلا عوض. في شارع المدارس بالقرب من كلية السوربون قام بناء عظيم أسسه فرنسيس الأول ملك فرنسا حوالي سنة ١٥٣٠ وجعل فيه درسين الأول لتعلم اللغة الرومية والثاني للعبارة وسمى المدرسة مدرسة الملك فرأت الكنية إذ ذاك أن قد استهين بها فأوعزت إلى مدرسة اللاهوت أن تتهم مدرسي مدرسة الملك بأنهم يدعون إلى الزندقة فحال الملك دون صدور الحكم عليها وأضاف إلى المدرسة درساً في الفصاحة اللاتينية ليخلص وجهاته من قسمة الإلحاد وما زال عدد الدروس يزيد على عهد الملوك حتى أضاف إليها هنري الثالث درس العربية ونايليون الأول درس التركية ولم يبرح بناءها ودروسها عرضة للنقب والإبدال

حتى عهد الجمهورية الثالثة.

ولقد أصبحت هذه السنة الدروس التي تلقى على الناس مجاناً ٤٩ درساً يصح أن يقال أنها مجموع علوم البشر يعول تدريسها أعظم أساتذة هذه البلاد وعلمائها من اشتهروا بفن أو علم أو لغة وصرفوا في البحث فيه شطراً مهماً من حياتهم ولم أر في هذه المدرسة أستاذاً نقل سنده عن اثنين إلا بعض المعاونين ممن يتجاوزون الأربعين وينتخبهم الجمع العلمي أو الجامع العلمي الخمسة وأساتذة المدرسة ويقبض الأستاذ عشرة آلاف فرنك في السنة ولا تتجاوز مدة الدروس ستة أشهر يتلو في خلالها درسين في كل أسبوع فقط.

أما العلوم التي تلقى على جمهور المستمعين فهي (١) علم الأثقال التحليلي والسنائي (٢) العلوم الرياضية (٣) علم الطبيعة والرياضة (٤) الطبيعة العامة والتجريبية (٥) الكيمياء المعدنية (٦) الكيمياء العضوية (٧) الطب (٨) علم الحياة العامة (٩) تاريخ الأجسام الغير العضوية الطبيعي (١٠) علم تكوين الجنين (١١) التشريح العام (١٢) علم النفس التجريبي (١٣) تاريخ العلوم العام (١٤) تاريخ التشريع المقابل (١٥) الاقتصاد السياسي (١٦) الجغرافيا والتاريخ والإحصاء الاقتصادي (١٧) تاريخ العمل (١٨) جغرافية فرنسا التاريخية (١٩) تاريخ الأديان (٢٠) الفلسفة الاجتماعية (٢١) علم الاجتماع الإسلامي (٢٢) علم الجمال وتاريخ الفنون (٢٣) علم الكتابات والعاديات الرومانية (٢٤) الكتابات والعاديات اليونانية (٢٥) الكتابات والعاديات السامية (٢٦) الآثار المصرية وأصول لغاتها (٢٧) الآثار الآشورية وأصول لغاتها (٢٨) الآداب العبرانية والكندانية والسريانية وأصول لغاتها (٢٩) الآداب العربية واللغة العربية (٣٠) النقود القديمة ونقود القرون الوسطى (٣١) آداب اللغات الصينية والتربية

والمنشوية ولغاتها (٣٢) آداب اللغة السنسكريتية (٣٣) آداب اللغة اليونانية (٣٤) فقد
 اللغة اليونانية (٣٥) تاريخ آداب اللاتينية (٣٦) التاريخ الوطني والعاديات الوطنية
 (٣٧) الفلسفة الحديثة (٣٨) اللغة الفرنسية وآدابها في القرون الوسطى (٣٩) اللغة
 الفرنسية الحديثة وآدابها (٤٠) أصول اللغات الجرمانية وآدابها (٤١) لغات أوروبا
 الجنوبية وآدابها (٤٢) اللغات والآداب السنية (٤٣) اللغة السلافية وآدابها (٤٤) علم
 النحو المقابل (٤٥) العاديات الأميركية (٤٦) الرياضيات (٤٧) تاريخ فن الموسيقى
 (٤٨) التاريخ العام والطريقة التاريخية (٤٩) أصول اللغات الهندية والصينية وتاريخها.

هذه العلوم التي تدرس في مدرسة فرنسا ولا يستغرق الدرس منها ساعة يتلو في خلالها
 الأستاذ زيادة عنده ويبحثه ولا يكثر المستمعون إلا في بعض الدروس التي رزق أستاذها
 فضل بيان وطلاقة لسان وأكثر الحضور غرياء أي غير فرنسيين وفيهم كثير من الفتيات
 طالبات العلم من قصدن فرنسا من ألمانيا وإنجلترا وروسيا والنس وإيطاليا وبنغاليا
 ورومانيا والصرب والسويد وأميركا ليغترفن من مدارس باريس ويحكن لفتها الجميلة.
 فكان أهل هذه العاصمة زهدن في حضور هذه الدروس المجانية وأزهد الناس في الرجل
 أهله وجيرانه. وإن دروساً يعد من جملة أساتذتها لفاصور وبول لوروا بوليو الاقتصاديين
 وماسيرو وغانو الأثريين وجوليان ومونو المؤرخين وبرجسون وريو الفيلسوفين وغيرهم
 من الأئمة الأعلام لحرية بأن يستفيد منها كل طالب ويغترف من درر بحورها عاشق
 العلم.

وإن هذا المعهد ليولي فرنسا شرفاً ليس وراءه غاية ويدل على تفانيها في نشر المعارف
 والأخذ بأيدي القاسين عليها وينادي بلسان الحال والمقال على توالي العصور والأجيال

أن فرنسا إذا هزمت في سياستها وأخلاقيها فهي على الدمار فية في جهال عندها وحدة حكمتها.

التجارة الباريزية

لم يكف الفرنسيون بل الغربيون بما بلغوه من أسباب الراحة والرفاهية بل تراهم يعنون لينهم وفنارهم لئلا يسبق بند بندا آخر أو ممكة ممكة أخرى كان المنافسة التي هي من أعظم عوامل الارتقاء قد تحسنت في صدر الكبير والصغير من الإفرنج فكان من آثارها ما يبهونا من تلك الحضارة الراقية والسعادة الشاملة.

رأيت روح الاجتماع متحركة في أعمال الأوروبيين فلا يكاد يأتي زمن قليل حتى تصبح جميع مشاريعهم وأعمالهم شركات وجمعيات ليخفى عمل الفرد ويظهر عمل الجماعة ويتراجع ضعف الواحد أمام قوة المجموع فقد ظهرت لتلك الأمم نتائج الاشتراك جماعة ظهوراً لا ينكره إلا من يكابر حسه ويغش نفسه فأنشأ من كانوا إلى الانفراد في متاجرهم ينضمون بعضهم إلى بعض ومن عاشوا بالوحدة يرجحون ويخسرون فلا يدري بهم أحد عدلوا عن سالف طريقهم واقتدى المتأخر بالمتقدم أو العناصر اللاتينية والسلافية بالعناصر الإنكليزية السكسونية.

مثال ذلك مدينة باريز مهد الحضارة اللاتينية فإنك تجد معظم مشاريعها ومتاجرها ومصانعها لشركات ومشاريع الأفراد ومتاجرهم ضعيفة ضئيلة لا تكاد تحيا حتى تموت ولكنها آيلة طوعاً أو كرهاً إلى الاندماج في تلك الاشتراك مع الجماعة. دخنت كثيراً من مخازن باريز فكنت أشهد على قلعة إلهامي بغن التجارة روح الجماعة مرفرفة عليها وتعدد القوى زائدة في ثنائها وحسن الذوق وسلامة الإبداع تتخلل أرجاءها وتزيد بماءها.

باريز أعظم بلد تصرف فيه السوق المالية والتجارية والصناعية من فرنسا ورؤوس أموالها مقدمة جميع متاجرها ولا تفوقها في ذلك إلا لندر. وقد بلغ عدد ما في باريز من البيوت المالية والمصارف وشركات الضمان فقط زهاء ألفي محل توشك أن تكون كلها لشركات وأعظم متاجر باريز بل فرنسا تجارة الأطعمة الخضرة والأمتعة والثياب والأزياء وكنها مهنة جداً لا يكثر عددها بل بمكانتها وفخامتها وانتظام أعمالها.

زرت بعض هذه المخازن من مثل لابل جارندنير والرتان والبون مارشه والنوفر ولافيت ودوقايل وكل واحد منها يبتاع بما حوى قطراً واسعاً من أقطار الشرق ويحتاج وصفه إلى الكلام ساعات على شرط أن يكون المتكلم عارفاً بالتجارة وما يتصرف أو يتوقف عليها وتتوقف عليه وكل مخزن يعد مستخدموه وموظفوه بالمتات ففي مخزن دوقايل وهولفرش الدور والقصور وما ينزم لها من الأثاث والخزني والرياش والأواني والسرر والصناديق والمقاعد والمتكات والكراسي وأدوات الطبخ وكل ما يتصرف تحت أنواع الزينة والتبرج والبذخ والرفاهية ما يأخذ بمجامع القنب ويعد من أغرب غرائب الغرب. ولا يقدر المرء أن يطوف هذا المخزن في أقل من ثلاث ساعات إذا أحب أن ينقي نظرة واحدة على ما فيه من التحف والأمتعة الشينة وهو قصر فخيم جداً لم أر أجمل من نقوشه البديعة وبناته العظيم سوى متحف النوفر ومتحف فرسال ودار الجنس البندي الباريزي. وفي مخزن دوقايل محل للتشيل ومحل للموسيقى ومحل للألعاب السينما توغراف يخفف إليها الزائرون بأجور معتدلة جداً والغرض منها أن يمروا ببعض مخازن ذاك الخلل الكبير فيكون مرورهم بها والقاء أنظارهم عليها بمثابة إعلان عما فيها من الأعلاق النفيسة وبركة الإعلان يشتري من لم يكن تحدثه نفسه بالشراء.

ومن الغريب أن هذا المكان الذي لا يشبهه في الفخامة إلا أرقى قصور الملوك والأمم كما أخذ الآن في توسعة مخازنه لأنها ضاقت به على سعتها وما أدري ما هو رأس ماله ولا مقدار أرباحه وعدد مستخدميه وغاية ما رأيت أن مصرفه أشبه بمصرف كبير بل هو في سعته وكثرة مستخدميه أشبه بمصرف الكريدي ليونيه في القاهرة لا في باريز فإنه هناك العجب العجيب بعينه.

وقرأت في إحصاء أخيراً أن مخزن لا فاييت أحب أن يزيد رأس ماله فقرر مساهمته أن يزيدوه اثنين وعشرين مليوناً ونصف مليون من الفرنكات فإذا كان مخزن واحد زاد رأس ماله في جلسة نحو مليون ليرة عثمانية فكم يكون أصل رأس المال.

ومما هو حري بالنظر في المسائل الاقتصادية أن أهل باريز على شدة كرههم للألمان يتابعون في بندهم البضائع الألمانية لرخص أسعارها والتفنن في إبداعها حتى كادت بضائع الألمان تأتي على بضائع فرنسا مع جودة هذه ومثانتها وأصبحت بذلك معظم البيوت التجارية لأناس أو لشركات من الألمان وغيرهم ومثل ذلك قل على ما قرأته في إحدى الجلات عن تجارة لندرا أو تجارة نيويورك فإن القسم المهم منها بيد الألمان يصرفون على الإنكينز والأميركان سنعهم وحكومة إنكلترا وأميركا مع شدة حرصهما على مصنعة قومهما التجارية لم تستطعا بالتعاريف الجمركية ولا بغيرها أنت تقينا سداً مريعاً دون تسرب البضائع الألمانية إليهم. ولكن ألمانيا أو العصر الجرمانى ومن لف لفه تحارب هذه الحرب التجارية بسيف العلم والمعارف وسدود الدول لا تقوى على صد هجماتها المعقولة.

ذكر الإحصائيون أن مدارس ألمانيا تخرج كل سنة أربعين ألف طالب ويدهم الشهادات التجارية فأين يذهب هؤلاء الرجال بعد؟ وهل لهم إلا أن يصرفوا متاجرهم في مشرق الشمس ومطعمها بالطرق الاقتصادية المدهشة. فكم رجل تخرج من البلاد المصرية العثمانية يا ترى حتى الآن في المعارف التجارية وكم طالب أتقن اللغة الألمانية منا حتى أصبح يكتب فيها ويترجم منها وإليها كنا يكتب الفرنسية أو الإنكليزية ويترجم بها منها؟

قال لي أحد علماء الألمان أتدري بأي شيء غننا الفرنسي في حرب السبعين قنت لا أعلم قال غنناهم لأننا كنا عارفين بما عندهم أما هم فلم يكونوا يعرفون ما عندنا وأنا أقول أن اقتصارتنا معاشر العثمانيين والمصريين والسوريين خاصة عني تنعم اللغة الفرنسية في

الأكثر هو من الاحتكار الضار فيجب أن نعرف أو بعضنا لغة أمة كبرى تريد أن تحارب العالم حرباً اقتصادية حتى لا يكون مثنا مثل الفرنسي مع جيرانهم الألمان قبل حرب السبعين جهنوا ما عندهم فحسروا في ماديتهم ومعنوياتهم.

نعم تتوفر عني الأخذ من أوروبا كل ما تمتاز به مملكة من ممالكها فتحول وجهتها بعد الآن إلى جرمانيا لتعلم عنومها واقتصادها ومتاجرها وبريتها وتأخذ عن فرنسا الزراعة والحقوق وعن إنكلترا السياسة والعنوم والبحرية وعن إيطاليا الصنائع النفيسة ونجعل للغة الألمانية والإيطالية حظاً من عنايتنا حتى لا نكون حكرة مضرّة لحكومة خاصة من حكومات الغرب فنحن كما نريد في السياسة أن نعامل الدول كنهن بوتام يجب أن تأخذ عن كل دولة راقية أحسن ما عندها حتى لا نكون من الجامدين عني أمة بعينها

والحامدون في مسائل الدين كالحامدين في مسائل الدنيا لا يخنو حالم من ضرر على
المجمع.

الإعلان أساس التجارة

تقدم في الفصل السالف أن البيوت التجارية في باريس تباع بركة الإعلان عن نفسها وهنا
مجال لأن أفضل ذاك الكلام الجمل فأقول: كل من زار مدينة أوروبية أو أميركية من أبناء
هذا الشرق الأقرب يأخذه العجب من وفرة الإعلانات وتفتتهم في نشرها والفرنسيين
في الإعلانات مقلدون لا يجتهدون قلدوا الأميركيين والإنكليز وهؤلاء يتفوقون عليها
نفقات لا تكاد تصدق فقد ذكروا أن معمل الموازين فيريانك وشركاؤه الذي كان ينفق
على الإعلانات نحو ثلاثة آلاف فرنك مساهمة أخذ اليوم ينفق نحو ثلاثة ملايين ونصف
فرنك وقد كان خصص أحد معامل الصابون ثلاثين ألف ريال للإعلان عن مصنوعاته
وهو اليوم يصرف ألف ريال في اليوم وتخصص المعامل الكبرى التي تباع بالمفروق في مدينة
نيويورك وحدها زهاء أربعة ملايين ريال في السنة لنشر إعلاناتهم وقد أنفق أحد أصحاب
المخازن لإرسال طبعة واحدة من الإعلانات بطريق البريد ٦٤٠ ألف ريال وليس من محل
في أميركا إلا ويصرف خمسة في المئة من أرباحه على الإعلانات وقد أنفق أحدهم ٧٥٠
ألف ريال للإعلان عن موسى له فباع ستة ملايين موسى وكذلك فعل توما بيشام بحبوبة
فصرف للإعلان عنها مليوني جنيه.

فاشتهار اسم المعمل أو صاحبه من القطب الشمالي إلى القطب الجنوبي وتردداه في أفواه
أرقى الأمم وأوحشها موقوف على كثرة التفتن في الإعلان عنه والبذل في هذا السبيل
عن سعة حتى قال كارنجي أعظم أغنياء الأميركيين: إذا أردت أن تباع قبعة بريال فإنك

تطيع أن تباعها بريالين إذا وضعت اسمك عليها وذلك لأنك تفهم الناس بأن لا اسمك بعض القيمة.

وذكروا أن شركة ولن سي الأميركية وهي شركة معامل أصواف مؤلفة من ٢٧ معبلاً رأس مالها ٦٩٠ مليون ريال وكانت مجموع أرباحها سنة ١٩٠٢ ١٨٧ .٠٠٠ .٠٠٠ .٠٠٠ عنى حين بلغ مجموع المنسوجات الصوفية المصنوعة في الولايات المتحدة كنها ملياراً و ٤٨٥ مليون ريال فبيدها جزءاً من ثمانية أجزاء من عمل الصوف ذكروا أنها توصلت بفضل التفتن في الإعلان عن نفسها إلى أن كادت جزءاً عظيماً آخر من أرباح الشركات الأخرى إن لم تكن انتهتها حتى الآن.

والطرق إلى ذلك مختلفة فمن ضروب الإعلانات الإعلان في الجرائد والمجلات عنى اختلاف أنواعها ووضع صفائح منحة في الصفحة السابعة أو الثامنة أي الأخيرة وإعلانات في شبك ودس الإعلانات في أخبار الجرائد وبين أخبار الرياضات والسباق ودور التمثيل والأزياء وإدماجها في المقالات وتعليقها على حيطان الدور وفي شوارع المدن والقرى وعنى طول السكك الحديدية وفي أماكن الترهة والمناظر التي يسرح فيها النظر وفي عجالات الحوافل والترامواي والسكك الحديدية تحت الأرض وفوق الأرض وستور دور التمثيل والقصور وجميع الأماكن العمومية حتى المراحض وترسم الإعلانات عنى القرطاس الذي يضعه الكاتب تحت يده وعنى المقطع والمكاكين وعبة عيدان الكبريت والدواة واليارموتر وكتب التقاويم وورق النشاف وبطاقات البريد وتجعل من الورق الملون والمقوى والزجاج والخزف والخشب والمعدن وغيرها. وتبدو في المساء بألوان مختلفة مقطعة بادية بالكهرباء وغيرها مما يطول ذكره.

ومن غريب تفننهم في الإعلانات أن مخزون أدوات نحاسية وحديدية في ليفربول أخذ يعلن في جرائدها بأنه يقدم مفتاحاً بلا ثمن لكل من يضع مفتاح بابيه أو خزانته بهذه الوساطة كان يأتيه المضيع فينصح له الحل بأن يبتاع قفلاً كاملاً ويغير القفل القديم حتى لا يقع المفتاح في يد لص وربما هانت عليه السرقة فبعض الناس يبتاعون وبعضهم يكتفون بأخذ مفتاح بلا ثمن ولكن النصح يفعل في أكثرهم. واختراع أحد البدالين من بائعي المأكولات الخضرة في لندن طريقة للإعلان عن محله بأن اغتنم فرصة حصور جوق تمثيل فابتاع مئات من الكراسي لمستخدمي محله أدخلهم على نفقته فتحدث القوم بذلك وذكرته الجرائد فحصل للسجل بالإعلان عن نفسه. ومن غريب تفننهم أن أحد مخازن القبعات في بنيسبور في أميركا أعلن في الجرائد أنه يريد أن يعرف أحد النساء اخكوم عليهن بالقتل فاهتدى إليها وأعطاهها مئة ريال على أن تقول قبل ضرب عنقها هذه الجملة كل ما أستطيع أن أقوله الآن هو أن محل المستر بلانك يعمل أحسن القبعات بريالين ثم قطع عنقها واغتنى صاحب المعمل.

والأمثلة على ذلك كثيرة ويكفي إلقاء النظر على أي حائط أو مجلة أو جريدة لنعرف مبلغ تفنن الغربيين في الإعلان والأساليب في الكتابة التي يختارونها والصور المتنوعة ومنها المضحك وغيرها الجدي وبعضها لطيف وآخر بشع ومنها السياسي والأدبي والعلمي وقد جعل الإنكليز السكونيون للإعلانات قواعد حتى صارت علناً من العلوم لا يبرز فيها إلا من حسن ذوقه وعرف النقش والرسم والتصوير والطباعة وكان ملأً بالاقتصاد السياسي وعلم النفس ومحيطاً بعالم المالية والصناعة والتجارة والجرائد والمجلات وكان ذا

هبة بالتفنن والأدب والخطابة حاسباً كاتباً مقنعاً يعرف التفنن في المسائل الحاضرة أو يحسن علم الحال.

ولا تعيش معظم الجرائد والجلات الكبرى إلا بأجور إعلاناتها حتى أن أجرة صفحة واحدة مرة واحدة في جريدة لادي هوم جورنال تؤجر بألف جنيه. ويؤخذ من إحصاء صدر سنة ١٩٠٠ أن في الولايات المتحدة ١٨٢٢٦ جريدة ومجلة تبلغ مجموع ما يطبع من أعدادها من كل نسخة ١١٤. ٢٢٩. ٣٣٤ ومجموع ما تطبعه في السنة ٨. ١٦٨. ١٤٨. ٧٤٩ وبلغ مجموع إيراداتها تلك السنة ٨٧٨. ٩٤٨. ٢٥٠ فرنكاً منها ٤٧٩. ٣٠٥. ٦٣٥ فرنكاً من أجور الإعلانات أي ٥٤. ٥ في المئة من مجموع دخلها وتطبع بعض الجرائد نسخاً خاصة بنشر الإعلانات فقط وتوزعها على مشتركيها ومن الجرائد ما لا يطبع غير الإعلانات وتوزع مجاناً. ويصرف أحد بيوت الثياب في فيلادلفيا نصف مليون فرنك في السنة أجرة صفحة واحدة من إحدى الجرائد الكبرى في تلك المدينة اسمها لروكورد ويصرف مخزن آخر يريد منافسته مليون فرنك على أربع جرائد. ومن كتاب الإعلانات

من يرزق ألف ليرة في السنة.

ومن الإعلان الغريب أن بعض التجار لهم بيوت ولا مخازن بل هم يطبعون إعلانات وينشرونها في قوائم خاصة وعلى صفحات الصحف والكتب والرسائل فيرسل الطالبون بالبريد يطلبون منهم ما يشاؤون من بضائع ومأكولات وهم يرسلونها إليهم بالبريد أيضاً وهذه الطريقة اخترعت في الولايات المتحدة لأن ثلاثة أرباع سكانها يعيشون في القرى والمزارع بعيدين عن مراكز التجارة وأشغالهم لا تسمح لهم بالاختلاف إلى المدن لايتباع

ما يشاؤون وهذه الوساطة يوفرون عليهم غناء التعب والمساومة ويصلهم ما يشتهون وهم في أعمالهم ونافيت بما في هذه الطريقة من تبادل الثقة بين التاجر والشاري وفي شيكاغو وحدها تباع مثل هذه الخال التجارية في السنة بما قيمته ملياران وخمسة مئليون فرنك وأن ثلاثة محال منها لتأخذ وحدها كل يوم خمسة وعشرين ألف رسالة في طلب ما ينزم أصحابها. وقد حسبوا أن عشرة ملايين أي ثمن أهالي الولايات المتحدة يتعاون حاجياتهم على هذه الكيفية.

وأن لأحد هذه الخال التجارية في شيكاغو زبناً ينفون مليوني نسمة يتناول منهم في السنة أربعة ملايين رسالة وهذه الرسائل لا تفتح واحدة واحدة بل تجعل كل ستين منها في آلة تفتح كلها بنحطة ثم ترسل إلى مئات من البنات تجعل كل قسم مع قسم وكل طلب مع ما يضارعه وتجعل في لوالب كهربائية لا تقل عن خمسة عشر ألف لولب وترسل في أسرع ما يمكن إلى البيوت التي تقدم للنحل طلباته وهي لا تقل عن ٧٧ ألف نوع فتأتي كلها على جناح البرق بحيث يكون العمل ما أمكن مستغنياً عن الأيدي الكثيرة على أن محلاً واحداً من هذه الخال التجارية التي تباع بالمراسلة عنده من المستخدمين ٦٢٠٠ مستخدم ولم يكن صاحبه قبل ربع قرن يملك ليرة واحدة وثروته تعد اليوم بملايين الليرات والناس يطنبون إلى محله وإلى غيره من الخال التي عنى شأكلته كل ما يحظر بياهم ومنهم من يطنبون أو يطنبن الزواج بواسطته.

وعنى الجملة فإنك لا ترى في ديار الغرب محلاً تجارياً أو معبلاً أو مشغلاً بالفنون الجمينة بل ولا عالماً ولا كاتباً ولا صانعاً إلا وينفق جزءاً من ماله على الإعلانات ليربح المئات وللإعلان يد طويل في عامة الأعمال الصناعية والزراعية والعننية ولولاها ما رأينا

المخازن الكبرى والجرائد الكبرى فعسى أن يقتدي الشرق بأخيه الغرب في هذا السبيل فيعلن خصوصاً عن أصقاعه الجبيلة ليجذب السياح إليها ويربح منهم مئات الألوف من الليرات كما فعلت سويسرا واغتنت بعد فقرها بكثرة تشويق العالم إلى زيارة ربوعها وكما فعلت فرنسا وإيطاليا وألمانيا وغيرها من أصقاع أوروبا وأميركا مثل مدينة دالاس في ولاية تكساس في الولايات المتحدة فإن أهلها كانوا سنة ١٨٨٠ عشرة آلاف نسمة فأزمع بعضهم أن يؤسروا نادياً سموه نادي المئة والخمسين ألفاً أي أن مدينتهم ستكون سنة ١٩١٠ مئة وخمسين ألف نسمة وما برحوا يتذرعون إلى ذلك بكل حيلة حتى بلغ عددهم سنة ١٩٠٤ ٨٣ ألفاً وتوصلوا إلى أن قال الرئيس روزفلت في خطاب له أن شمالي تكساس هو حديقة الرب ومدينة دالاس تطالب ويحق لها ذلك أن تكون نقطة دائرة هذه الحديقة.

نعم إن الإعلان أساس من أسس الثروة اليوم بل هو سبب من الأسباب المعقولة المشروعة وأثره في الإعلان عن الأشخاص ظاهر وكم من نابذ اشتهر يتحدث الناس في أمره ومن آخر خل ذكره لأنه لم يعرف كيف يتوصل إلى الشهرة فعاش ومات ولم يدرب أحد فالنهم اجعل الشرقيين من الناهين بحق لا الخامين الجهوليين.

دور التمثيل والأنس والاجتماع في باريز

إن ما شهدته من التمثيل العربي المنحط جداً في الديار المصرية والشامية زهدني في التمثيل على أنواعه فصرت لا أختلف إلى دار تمثيل إلا متكارهاً وذلك في المدة الطويلة لقللة غنائه وانقطاع الرغبة فيه وأعلن ذلك بأن التمثيل لم يعهده العرب أيام حضارتهم بل لم يكن لهم

ما يشبهه في قرطبة ولا في بغداد ولا في دمشق ولا في القاهرة أيام عزها ولذلك قلنا ما ل أبناء العرب إليه ميل الغربيين له وقدروا مزاياه حق قدرها.

ولما حننت باريز كان من أوائل المسائل التي توخيت دراستها حالة التمثيل في الغرب والسر في توفر أهله عليه وخدمتهم له كما يخدم الشعر والموسيقى والخطابة بل جعنوا هذه الفنون خادمة للتمثيل وأصبح عندهم من ضروريات الحياة كالطعام والشراب لا حياة بدونها وكذلك التمثيل لا حياة روحية بدون الاختلاف إلى دوره ولو مرة في الشهر إن لم يكن مرة أو مرتين في الأسبوع.

والتمثيل في باريز من أعظم ملاهيها وقل أن تجتمع لعاصمة ما اجتمع لها من ضروبه ولشدة عناية الحكومة به تنقل من مائها كل سنة أربعة دور تمثيل مبلغاً تسعين به على تحسين حالتها فتمنح الأوبرا ثمانمائة ألف فرنك والتياترو الفرنسية ٢٤٠ ألف فرنك مع الدار وتعطي الأوبرا كوميت ٣٠٠ ألف وتعطي الأوديون ١٠٠ ألف فرنك وفي باريز ٥٣ دار تمثيل كبرى ذهبت إلى أشهرها مثل الأوبرا والتياترو الفرنسية والأوديون والشاتليه وساره برنارد والفودفيل وغيرها.

فكنت كلما ألفت اصطلاحاً في أحاديثهم وحركاً في وسكانهم ومظاهرهم ورقصهم وغناهم تبين لي سر تعالي الغربيين بالتمثيل وأنه حقيقة مدرسة تهذيب وفضيلة عميلة ودار سنوى وارتياح أرواح فلا عجب إذا عدوه من أكبر العوامل في فوضهم وتثقيف مجتمعاتهم وشغفوا بفصوله ولا شغف الشرقي بفصوله وحرص الفرد منهم على ساعاته حرصه على عزيز أوقاته.

أما دور التمثيل فهي قصور فخمة هندسوها على ضخامتها بحيث لا يحرم الحضور على اختلاف درجاتهم من سماع ما يقال على مسارحها ورؤية ما يعرض فيها من المشاهد والمناظر. وكفى بأن دار الأوبرا كلف بناؤها ثلاثين مليون فرنك وذرعها أحد عشر ألف متر. وأقل دار تمثيل تساوي عشرات الألوف وبعضها مئات الألوف من الليرات وإن مما يبهج جوف الموسيقى في الأوبرا وقد حرزته بمائتي شخص وجوف المثلثات والراقصات والمثنيين على المسرح وما أظن جهرته تقل عن خمسمائة.

وإذا عرفت أن الأوبرا تدفع لأحد ممثليها ٢٢٠٠ فرنك كل ليلة أي ١٢٨ ألفاً عن ٦٤ ليلة في السنة وتدفع لغيره من المثنيين رواتب تختلف بين ٨٥ ألفاً إلى ٣٠ ألفاً. وعن كل ليلة يعني فيها كاروزو عشرة آلاف فرنك وتداول بعض المثلثات أربعة آلاف فرنك في الشهر جاز لنا أن نستقل إعانة الحكومة للأوبرا ونحكم على كثرة دخلها وخرجها. ولقد كنت أعتل نفسي في حضرة أعظم فصحاء الأرض وعلماء الاجتماع والنفس ساعة تشتهي إلى مسعى أصوات المثنيين والمثلثات وتتفق ألسنتهم بكلمات الحكمة والأدب ويشخصون الفضيلة في أهي مظاهرها كأنك تراها فلا أتمالك من توفير المثنيين والمثلثات وإكبار فائدة التمثيل. المدارس لتثنية الصغار في وقت معين من السن ودور التمثيل مدارس دانية لنصغار والكبار تنقنهم من أسير السبل حكمة وآداباً وتنقنهم عبرة مفيدة وفكاهة رشيدة.

حضرت رواية مثل الأوراق في الاوديون ورواية الباريكاد لبول بورجه في الفودفيل ورواية جان دارك في تياترو ساره برنارد ورواية الجندي الصغير في الشاتليه فكان يخیل لي وأنا أسمع وأرى أن الأمر واقعي وأن هذه المشاهد حدثت الآن وقد اجتمع جمال الصوت

إلى جمال الوجود إلى جمال الكلام إلى جمال الهندام إلى جمال المكان إلى جمال النظر وأقل هذا مما يستهوي النفس فلا تدري أي شيء ترى ولا أي فائدة تعي.

وما أظن أكبر منقطع لو حضر التمثيل في مثل هذه الدور العظى يستطيع أن يعيب شيئاً مما يشهد. وأي عين لا تقع على ساره برنارد أشهر ممثلة فرنسية وهي في الخامسة والستين من عمرها تمثل دور جان دارك وهي في التاسعة عشرة فتظهر كأنها هي بصوتها وحركتها ونضرة وجهها ولا ترتاح وتعجب وأي أذن تسمع الحكمة في رواية الباريكاد يقولها أحد الممثلين بصوت رخيم إن الطبقات الاجتماعية كالأمم يضع حقها في حفظ ما لم تقو على الدفاع عنه. ولا يفكر طويلاً.

ولقد رأيت في دور التمثيل حتى ما يوصم منها بأن فيه شيئاً من الخلاعة مثل مولن روج أن الأدب يغيب عنى السامعين والناظرين. وإن قاعات الاستراحة بين الفصول ليسير فيها الخرد العين كاسيات عاريات معطرات متبرجات ولا ترى إلا من يغض الطرف حياءً وأدباً. والغالب أن النساء ينسبن لنظالي التمثيل ثيابهن وأزيتهن كأنهن في بيوتهن وبين صويحباتهن وأصحابهن وقلنا تراهن في الشوارع إلا مكتسيات من النقاس بما خف محمده وقل ثمنه.

أما سائر أماكن الطرب كحبال السماع والموسيقى والمراقص العامة فكثيرة جداً في باريس وأحسنها ما كان على جوانب الجواد العظى أو بالقرب منها ويكون فيها المرء بحسب مبلغه من التهذيب. وموسيقى الإفرنج وعزفهم وزفهم يحسنها الشرقي مع طول الألفة لها وأنسة ومن لم يعرف عندهم ولو أحد هذه الأنواع الثلاثة استغربوا أمره وعدوه محروماً من لذائذ الدنيا ساقطاً من رسوم الهيئة الاجتماعية. ولكل قوم عاداته وأخلاقه

يحرص عليها كثيراً ولا يرى فيها حرجاً ولا نكيراً سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

من باريز إلى الأستانة

قضيت شهرين اثنين في هذه العاصمة طفت المعاهد ورأيت المشاهد وعرفت العامل الجاهد وتبينت العالم الجاهد وطعمت الجشب والشهي من الطعام ووصنت السير بالسرى وعمل الليل بعمل النهار ورأيت العنة في حاناقهم ومطاعنهم وراكلت الأغنياء في مقاصفهم وشاركتهم في نعيمهم واختنطت بطبقاتهم أسمع عباراتهم ولم أتكف من غشيان كل مكان أرجع منه بقائدة مستطعاً طنع خلق جاريماً من الاختيار فيه عنى عرق فكانت عيني قلّ النظر وأذني تسأم السماع وذمهي يتأفف من التفكير وقنبي يتخوف كثرة الوعي. ومع ما صرفته من الوقت والقوة خرجت من هذه المدينة وفي النفس منها أشياء لم أتمكن من دروس معالمها ومجاهلتها من هذه أماكن الرياضات البدنية والنعب عنى اختلاف ضروبه وزيارة مجاري العاصمة تحت الأرض وسراديبها والاعتبار بقبورها ومدافنها وهي مزينة كقصور الأحياء ومقطعة إلى طرق ومناطق.

وفي يوم بدأ نهر السين بفيضانه المشؤوم الذي طغى على السدود والسكرور فدكها وبثقها وأودى بالأموال الجسيمة من ناطق وصامت ركبت القطار وقت الظهر إلى الحدود الألمانية فكان نهر الموز والمارن هائجين حتى طغت مياههما عنى السهول والأودية ولم يصل القطار إلى نانسي على الحدود وبينع ستراسبورغ في أرض الألمان وقاعدة الأتراس إلا وقد انقلبَت تنك الأمطار ثنوجاً وذلك الهدير مكوناً ولون تنك المياه الكدرة بنون الشج الأبيض الناصع وبلغنا مونيخ عاصمة مملكة بافيرا الألمانية صباح الغد فوقف القطار

زهراء ساعتين فرأيت أن لا أضيع الفرصة فأخذت أطوف المدينة ولكن كانت الشوارع
 غيرهما فلم أر منها إلا واجهات الأبنية ورؤوسها وهنا تمثل لي النقص وأحسنت بالعجز
 وشعرت بالعربة وأنا ألتفت عن يميني وشمالتي فلا أسمع إلا الألمانية التي لا أعرف منها أكثر
 مما أعرف من الكردية وقد تركت بعض رفاق لي في القطار ومنهم بولونيون يتكلمون
 بالفرنسية تطيب نفسي بمحادثتهم ومفاكهتهم حتى إذا عدت أخذت مكاني من القطار
 اجتاز بنا بعد قليل في أرض النمسا حتى وصلنا مساء اليوم الثاني إلى فيينا عاصمة النمسا.
 وعنى ذكر اللغة لا بأس بأن أقول أنني يوم دخلت فرنسا لم أشهد وحشة ولم أشعر بغربة
 لمعرفتي بنسبان أهلها وإطلاعي على تاريخهم وعاداتهم فكنت كأني داخل ولاية من
 الولايات العثمانية التركية أو قطراً من الأقطار العربية في غربي آسيا أو شمالي إفريقيا ولما
 انضمت من ستراسبورغ شعرت بتغير العادات والنهجات وأيقنت بأن الغريب الذي يزور
 بنداً لا يعرف لغة أهله كالأصم والأعمى وهذا ما عايني في الأكثر عن زيارة إنكنترا
 وألمانيا خلال هذه الرحلة مع شغفي بمحضرة هاتين الأمتين لأنني أستصعب أن أرى غربي
 بعيون غير عيني وآذان غير أذني.

قضيت في فيينا يومين استرحت فيها من وعناء السفر واطنعت على بعض معاهدتها إلا
 أن الشوارع التي بنعت نحو ذراع عاقتني عن إتمام الزيارة فركبت ثالث يوم بعد الظهر
 القطار قاصداً بلاد الجمر فاجتازنا عاصمتها بودابست في الليل ووقف القطار فيها ساعة لم
 أتمكن في خلالها حتى ولا من رؤية الخطّة وعدنا إلى قطارتنا حتى نخطينا من الغد أرض
 الإمبراطورية إلى أرض البنقان ولم يكد القطار يجتاز نهر الطونة حتى تمثل أمام خيالي تاريخ
 هذه البلاد وبينما كنت أذكر وقائع العثمانيين في مسترا والبروج المعروفة ببرج العرب

وأذكر تلك الدماء العزيزة التي أهرقت على ضفاف الطونة لفتح هذه البلاد ركبت معنا من أول محطة في بلاد الصرب فثلاثان صربيان في الخامسة عشرة من عمرهما عليهما ميماء الحشمة والأدب فسألت الرفيقة رفيقتها أن تغني شيئاً فالتفتت إلينا وكان معنا رفيق بلغاري يعرف التركية فاستأذن في ذلك فقلت له لا بأس فاندفعت الفتاة تغني بنغمة على إيقاع غريب فاضت له نفسي بالدموع خصوصاً وقد جاءها الغناء وهي تفكر فيما أصابنا في هذه الديار من الشقاء. فعجب رفيقي البلغاري وقال لعنك فهمت هذا النشيد الوطني الصربي قلت لم أفهم وإنما تأثرت من النغمة ومن أمور أخرى فسألني إلا أن بحث له بذات نفسي ولما ذكرت له كيف تقدموا هم وتأخرنا من بلاد هواؤها عشائني وسيئوها عشائني وأكثر عادتها عشائية عذربي على شعوري بما فيه من فضل أدب.

ووقف القطار ساعتين في بلغراد عاصمة الصرب فاعتصمت الوقت لزيارتها وهي نظيفة لطيفة صغيرة حرة بأن تكون قاعدة لتلك المسنكة التي يقطعها القطار طولاً بأقل من عشر ساعات وزرت من الغد صوفيا عاصمة بلغاريا وهي أجهل وأضخم منظمة على مثال المدن الأوروبية ويغلب الأدب أهلها وكثير منهم يعرفون التركية وقد وقفنا عليها نحو ست ساعات تمكنا أثناءها من درس معالمها وحدائقها ومتنزهاتها وبعض قصورها وهي أقرب إلى أن تكون مدينة شرقية منها إلى أن تكون مدينة غربية ويقال أنها ترتقي سنة عن سنة ارتقاء يحسدها عليه حتى الأوروبيون الراقون وعجبت لما سمعت بعض الألفاظ التركية يستعملونها مع اللغة البلغارية حتى الآن كأنهم تركوها عضواً أثرياً يذكرونهم بأيام حكم الأتراك عليهم.

وعند الظهر سار بنا القطار يقطع بلاد البنغار ووصلنا إلى جسر مصطفى باشا في ولاية أدرنه أو التخوم العثمانية عند العشاء وهناك جاءنا رجال شرطتنا يدمدمون ويرقون ويرعدون يحكمون على هذا بالجزء النقدي ويعفون عن ذاك ويطلبون من هذا جوازاً ومن الثاني أن ينشئوا صوانه وهميانه ومن الثالث أن يفتشوا صندوقه ويراقبوا كتبه والخاصة تغيرت معنا الحال من الأعنى إلى الأدنى حتى بنعنا بلادنا فرأينا الانحطاط بادياً عليها في كل شيء وإداراتها هي تلك الإدارة الاستبدادية بعينها لم يعدل الدستور من شدتها وما زلنا على ذلك حتى بنعنا صباح الغد الأستانة عاصمة سلطنتنا العثمانية.

عاصمة السلطنة العثمانية

صقع جميل وسواحل بديعة ومناظر رائقة وسماء صافية ورفاهية مفرطة وأنس دائم فمن المضي إلى الخليج إلى جزر البحر إلى مترهات منقطعة القرين إلى غابات منتجة وجبال مكسوة وعيون خراطة وكل ذلك بهجة النفس والخطير وهذه هي الأستانة وأحيائها وضاحتها.

أما عمراتها فصورة مكبرة من عمران الولايات لا نظام ولا شوارع منظمة ولا طرق معبدة ولا راحة للراكب والسائر ولا للتقيم والنازل وغاية ما فيها من مصانع وآثار قصور السلاطين والجوامع الكبيرة الزاهية التي أنشأوها منذ عهد محمد الفاتح إلى يومنا هذا وبعض تكن ومدارس عالية حديثة لا شأن لها من حيث فن البناء.

والأستانة من حيث قوتها المادية ضعيفة ضئيلة نصف أهلها أتراك يبلغون نحو مئتي ألف والنصف الآخر أروام وأرمن وأكراد وأرناؤود وعرب وغيرهم من العناصر العثمانية. ويغلب على الأتراك الاتكال لأنهم ما زالوا حتى بعد الحرية يعتقدون من أنفسهم الغناء

والسؤدد أكثر من بقية العناصر ويتوهمون أنهم العنصر الحاكم ولذلك قلنا ترى بينهم تاجراً معترفاً أو زارعاً كبيراً أو مالياً دراكّة يعيشون كنهم إلا المرتزقة والبيعة عالة على الأمة لا يعرفون غير تقلد الوظائف الإدارية والعنيفة والقلمية والعسكرية.

فالأستانة من هذه الوجهة مدينة الاتكال الجسم يعيش أهلها كالحنينة الطفينة على عنق الولايات ولكم خربت ولاية أو لواء أو قضاء ليعمر بها أحدهم مصيفاً له على ضفاف الخليج أو في جزيرة الأمراء ويقتني من الجواري والسراري والعبيد بقدر ما تطيب له نفسه.

ولأهل الأستانة فضل أدب ولين جانب عرفوا به منذ القديم فترى الواحد منهم يعامنت بأقصى النطف والظرف حتى يرضيك وفي باطنه على الأغلب يسر لك غير ذلك وهذا الخلق عام في عمال النظارات والإدارات الكبرى ولولا ذلك ما انصرفت وجوه أرباب الأشغال من سكان الولايات إلى الأستانة يقصدونها لكشف ظلامه ونيل رتبة ومرتبة وراتب.

صرفت في هذه العاصمة عشرين يوماً قابنت في خلالها كثيراً من أهل العلم والسياسة وكنت أتكاره في الاختلاف إلى المعاهد والناس إذ سئت نفسي كل ذلك بعد باريز التي رأيت فيها من كل شيء أحسنه ومن العالم أرقامهم ولطالما اسودت عاصمة بلادي في عيني ووددت على الأقل لو كنت لي أن أزورها قبل الرحيل إلى الغرب وإمتاع النظر والحواس بحضارته البهجة حتى لا أرى الانحطاط بعد الرقي ولا الظلام بعد النور.

ومن جنة المعاهد التي هي جنة مقصدي وغاية مناي من زيارة الأستانة مجلسنا النيابي زرتة خمس مرات وأعضاؤه نحو مائتين وخمسين نائباً من جميع عناصر الدولة وأصقاعها تجد

فيهم ذا العمامة البيضاء أو الخضراء كما تشهد فيهم لابس الكوفية والعقال وثلاثة أرباعهم من لابس الطرابيش ولقد سمعت من أرباب العنائم مناقشات راقية لم أكد أسمعها إلا من النواب الذين صرفوا شطراً من أعمارهم في أوربا يعلمون ويتبرنون ويدير حركة المجلس من النواب اليوم نحو عشر أعضائه شأن مجالس كنها فإن أرباب العقول الراقية والمضاء الكبير قلائل في كل طائفة. خصوصاً ومجلسنا ما برح طفلاً ويرجى أن يكون في الانتخابات المقبلة أرقى مما هو الآن.

رأيت النظام قليلاً في المجلس يبدأ قبل الظهر بالنظر في قانون كذا وبعد الظهر يتناقش في غيره قبل أن يكمنه ومن الغد يتناقش في مسألة أخرى وينسى القانون أو اللائحة الأولى وذلك لأنهم وسدوا رئاسته لرئيس اشتهر بخدمته الحرية والشهرة قد تكذب. وكم وسدوا النظارات في هذا العهد الدستوري الجديد إلى أناس اشتهروا بعنيتهم وعقبتهم في الدور السالف حتى إذا جاء الآن دور العمل أبانوا عن ضعف في المدارك وخور في العزائم وبضاعة مزجاة من العلم والعمل ونفس شريرة تعد قتل عنصر من العناصر قتلاً معنوياً لغاية بعيدة الحصول أسهل من تناول الكأس أو السلام على الناس.

وكل أولياء الأمر إذا حدثتهم في نقصنا والسعي لإصلاحنا شاركوك في حديثك وربما تظاهروا بأكثر من غيرتك وحنوا أشد من حمتك فإذا أتت نوبتهم ليعلموا تراهم يقرون القديم على قدمه إن لم نقل يزيدون الحال أعضاءً وأشكالاً. فهم فلاسفة قول لا عملة عمل وجريدهم في أساليب لم يتقنوها لا في ظلامه يرفعونها وولاية يرفعونها وإصلاح يدخلونه.

ولا أغالي إذا قلت أن عمال الأمانة الآن صورة من صور العهد الحديدي إلا أنهم يدعون الحرية وهم مضطرون إلى الإسراع بمصالح العباد بأقل مراوغة ومطاولنة مما كانوا عليه في العهد الماضي أما الإصلاح الحقيقي فأظن من سيقومونه به هذه البلاد العزيزة لم يخلقوا بعد ونحن نكتفي من الحاليين أن يحفظوا فقط بالحالة الحاضرة ريشنا يتخرج جيل جديد يربي على أدب النفس وأدب الدرس ويتشأ بعيداً عن أخلاق الحكومة الاستبدادية المطلقة التي غرست مبادئها الساقطة في القنب والنجم والدم والعظم.

المتحف السلطاني

دخلنا هذه الدائرة الفخمة من بابها الغربي الكائن بجوار نظارة العدلية ومررنا أمام دار الضرب العامرة وبعدما دخلنا من باب آخر ينتهي إلى ساحة كبيرة بني على أطرافها رواق كبير يسمنونه غرفة العرض كان يجلس فيه الوزراء والأمراء للذاكرة والمشاورة وفي صدره مصطبة كبيرة يصعد إليها من درجة واحدة كان يجلس فيها السلطان متوارياً عن الأعين.

ثم خرجنا من هذه الغرفة وصعدنا إلى قصر شامخ يصعد إليه بسنم من رخام جدرانها مزينة بالقيشاني بنه السلطان مراد الرابع بعد رجوعه من بغداد على طرز قصر هارون الرشيد وسماه (قصر بغداد) وهو قصر مبني على الطرز الشرقي بشكل مشين منتظم تحيط به من الخارج ردهة ذات منافذ تطل على الخنائل والبحيرات وتشرف على بحر مرمرة وقسم من

البوسفور وأحياء القسطنطينية وضواحيها وبجانب هذا القصر دائرة (الخزقة الشريفة) وفيها الرداء النبوي وبقية المخنفات والآثار النبوية.

وخرجنا بعدئذ من هذا القصر ودخنا قصرًا آخر فيه غرفة كبيرة طولها نحو عشرين ذراعاً وعرضها نحو ثلاثة عشر ذراعاً يقال أنها من بناء السلطان مصطفى الرابع وفي الجهة القبليّة من هذا القصر قصر آخر بناه السلطان عبد الحميد الخيد ويسمونه (سلطان حميد كوشكي) مبني على الطرز الإيطالي وهذا القصر أجمل قصر رأيناه هناك ومما يجدر بالذكر في هذا القصر صفاء بنور النوافذ حتى أنك تظن النافذة مفتوحة لا بنور فيها لشدة صفائه وعلى جانب هذا القصر حجرة صغيرة بناها السلطان عبد الحميد لتبديل لباسه قبل دخوله دائرة الخوقة الشريفة.

ثم انتهينا إلى دائرة المتحف السلطاني وهي بيت القصيد في هذه الزيارة وهنا لا يتألف الإنسان من الدهشة عند ما يشاهد تلك الآثار النفيسة والمصنوعات الثمينة النادرة التي لا تقدر لها قيمة لنفاسها التاريخية. دخلنا هذه الدائرة وهي مؤلفة من ثلاث غرف تحتانية وثلاث غرف أخرى فوقانية وأول شيء وقع نظرنا عليه نحت كسرى الذي غنمه السلطان سليم الأول من الشاه إسماعيل الصفوي في حرب (جالديران) الشهيرة وقد نصب في وسط المتحف يوحى إلى الرائي بعظمة الدولة العثمانية ومجدها السالف ويصور لناظر السلطان سليم الأول ممتطياً جواده سائلاً سيفه يقود جيشه الباسل إلى بلاد الأكاسرة ويشبّك مع صاحب العجم في حرب عوان فيهزم جيشه ويستولي على عرشه وخزائنه.

هذا النحت على هيئة مستديرة قائم على أربعة أعمدة يصعد إليه بدرجة واحدة وكند مرصع بالياقوت والزمرد مما يبهّر الناظر. شاهدنا في هذا المتحف سيف قسطنطين بالتوغوس آخر قياصرة الروم وهو سيف مرصع بالماس أخذ من جنة غنائم يوم فتح

القسطنطينية. شاهدنا مهد السلطان محمود الثاني وهو على شكل السرر التي تصنع في دمشق من الخشب مرصعة بالصدف وهذا مرصع بالأحجار الكريمة. وفي المتحف ثلاث قطع من الزمرد الأولى بقدر جوزة الهند ووزنها ثمانمائة درهم والثانية على شكل مستطيل ووزنها مئتا درهم والثالثة بينهما في القطع والوزن وهناك أوانٍ من النجف بعضها مرصع وبعضها بدون ترصيع وساعات وأوان من العاج وبواطلي من الصيني ودروع وطبرات

ومغافر وبنادق قديمة مرصعة مما لا يكاد يحصى وخواتم من الماس بعضها فضة بقدر الجوزة. وإلى جانبها دوي قديمة ذهبية وقناقم ومحاريب وسبحات ومراوح مرصعة وفي جنة هذه المراوح ثلاث تعد من نواذر المصنوعات الواحدة قبضتها مرصعة بالماس والأخرى مرصعة بالياقوت والماس في وسطها ياقوتة بقدر الجوزة والثالثة مرصعة بالأحجار الكريمة وعليها رسم الكرة الأرضية.

ومما أمتعنا به النظر صورة شخص طول عشرة سانتيمترات صدره وبطنه لؤلؤة واحدة ورجلاه فيروزتان وبالقرب منه صندوق وعليه فيل من الذهب مرصع بالأحجار الشينة. رأينا أعطية مناخذ من الأطنس والديباج بعضها مرصع باللؤلؤ فقط والبعض الآخر مرصع باللؤلؤ والزمرد والياقوت بنقش بديع يأخذ بالعقول وهناك قلب من الماس حجرتة الوسطى بقدر البيضة ويقال أن هذه الحجرة هي رابع حجرة في الدنيا من حيث الحجم والوزن وقد أمتعنا الطريف برسم السلطان عبد العزيز مجسماً معبولاً من النحاس الأصفر منطياً جواده بقطعة كبيرة طيعة وآخرين صغيرين ورأينا رسم اسكندر الثاني قيصر الروس ورسم غنيوم الأول عاهل الألمان.

وما رأيناه ثلاث آلات للمنظومة الشمسية مصنوعة من النحاس الأصفر تدور فيها الأرض والسيارات حول الشمس بحركة دولا ب يدار باليد كل ذلك بل أكثره موضوع في خزائن من البلور لا تمسه الأيدي رأينا مسيات لا نعرف أسماءها مما يحار لها العقل ويدهش لها الفكر وأن لنا بابن المعتر يقف في هذه الخزينة ويصف ما فيها من الحلي والخمل والجواهر الثينة والمصنوعات الفاخرة النادرة بمنظومات تحكي ترصيع الجواهر المكوزة في هذا الكثر الكبير.

ليس شيء أصعب على الكاتب من أن يرى أشياء لم يألف مشاهدتها ولا يعرف لها اسماً فهو إذا أراد وصفها عصته الألفاظ وضاعت به التعابير رأينا في هذا التحف شيئاً كثيراً كنه من النادر الغريب الذي لا يوجد إلا في خزائن الملوك ولو أردنا أن نصف كل ما رأيناه لطل بنا البحث واحتجنا إلى سفر كبير ولكن نكتفي بذكر الآثار التاريخية الثينة بالنظر لما لها من المكانة العلية والقيمة الأدبية.

فن ذلك درع مرصعة بالماس والياقوت مع سيف مرصع أيضاً مكتوب عليهما هذه العبارة

هذه الدرع غنمها السلطان مراد الرابع لما فتح ^{بعد} ^و ^{اد} في اليوم الثامن عشر لسنة ألف وثمانين وأربعين هجرية وتحت معبول من الباغ مرصع بالفيرز والزمرد وهو تحت السلطان أحمد الثالث كان يجلس عليه يوم عرفة وفي وسطه فراش من الأطنس مرصع باللاتي بنقوش لطيفة يصعد إليه بثلاث درجات صغيرة وخزانة من الكهرباء المنون المعرق أهدتها فيكتوريا ملكة الإنكليز للسلطان عبد العزيز ومكتب (قنصل) كبير مرصع بالماس والياقوت وسائر الأحجار الكريمة أهدتها كاترينة قيصرية الروس لنوزير الأعظم

محمد باشا البلطه جي يوم وقعة (بيروت) الشهيرة وهذا المكتب من أثمن ما شاهدناه في هذه الخزينة لما فيه من الأحجار الكريمة وحل ملوك بني عثمان وعنائهم موضوعة كلها على قوالب مخصوصة على شكل إنسان بالهيئة التي كانت عليها ومكتوب على كل اسم منها اسم صاحبها وسيف السلطان الغوري عزيز مصر وخاتم السلطان عبد العزيز الذي نزع من إصبعه يوم استشهاده ووسامات مختلفة أهدها ملوك أوروبا للسلطين العثمانيين وغير ذلك من الآثار البديعة التاريخية.

وفي الجنبلة أن هذه الخزينة هي أعظم خزينة على وجه الأرض لأنها جمعت بين خزائن الأكاسرة وخزائن القياصرة وملوك الإسلام وكانت في الدور القديم تجمع فيها الأموال على نفقة الدولة وتدخر لأوقات الحروب وتسمى (ايح خزينة) أي الخزينة الداخلية. يروى أن السلطان مصطفى الثالث كان جمع فيها مبالغ طائلة صرفها كلها في الحرب الروسية ويقدر ما صرفه في ذلك الوقت بأثني عشر مليون ليرة على حساب هذا الزمان. أما بناء الدائرة فليس من الأبنية الفخمة المزينة بل هو بسيط جداً على طرز التكايا وليس فيه ما يستحق الذكر سوى ما ذكرناه آنفاً من القصور الحديثة التي بناها ملوك بني عثمان بعد الفتح وإنما هي تمتاز بجمال موقعها وحسن مناظرها ومكانتها التاريخية فالواقف في فنائها أو في أحد قصورها يمتع طرفه بتلك المناظر البهيحة ويسرح فكره في غابرها وحاضرها ويهتز طرباً وتتجنى له عظمة آل عثمان وسنطاهم ويرى الفاتح يسوق أسطوله على اليابسة بأعجوبة لم يسبق لها نظير ويفتح القسطنطينية ويملك قصر القياصرة وخزائنها كما افتتح أجداده بلاد الأكاسرة وقوضوا عروشهم ويكون نعم الأمير الذي امتدحه الرسول وجيشه نعم الجيش.

وفي الحقيقة إن هذا البناء اللطيف من أجل ما يتصوره الفكر وألطف ما تشعر به النفوس فهو يحتاج إلى قريحة شاعر مطبوع أو قلم كاتب مجيد يصف ما تشعر به النفس من المعاني الشعرية في جانب هذه المناظر البهيجة والآثار التاريخية. هذا ولا يسعني هنا إلا أن أثني الثناء الطيب على ناظر المتحف حافظ محمد رفيق بك لما أبداه من اجاملة والملاطفة في زيارتنا هذه كما أتي أشكر للأستاذ الزهراوي وعبد العزيز أفندي قولهم لي عنايتهم في هذه الزيارة التي هي من أتمن الزيارات التاريخية.

المتحف العثماني

ليس بين معاهد الأستانة وقصورها معهد توفرت فيه شروط التجديد ودخنته الروح الغربية مثل المتحف العثماني فهو المعهد الوحيد الذي قلدنا فيه الأوروبيين وأحسن التقيد يستفيد به زائره تاريخ الصناعة ولا غرو فقد ضم عاديات الأمم القديمة كالرومانيين واليونانيين والفينيقيين والآشوريين والبابليين والمصريين والهيبيين والبيزنطيين المتأخرين من نوايس وثمانيل وأواي وآثار حجرية وخزفية وبنورية وكلها شاهدة على الدهر بما كانت عليه حضارات الشعوب التي انقرضت فأصبحت بلادها من جهة ولايات هذه السلطنة العثمانية أيد الله أركانها.

ومن أجل ما يشاهد فيه مسلتان عثروا على الأولى في صامسون والأخرى في ازنيق وأسد وجد في هاليكارناس (قصة بودروم) ويرد تاريخه إلى أربعة قرون ق. م وبجانبه ناووس روماني مستخرج من دراج في ولاية أشقودرة ومن ألطف عاديات هذه الدار النوايس التي عثر عليها في عيذاء وهي عبارة عن ستة وعشرين ناووساً ادعى بعضهم أن أحدها هو ناووس امكندر المقدوني لأن الإسكندر توفي في العراق وجيء به إلى سورية على أن

روايات المؤرخين مختلفة في دفنه. ومن النووايس ناووس دفن فيه تابنيت ابن اشموناراز ملك صيدا وعنه كتابة بالخط الفينيقي. وناووس الإسكندر من أغرب ما نقش النقاشون تحمينا عليه وعلى كثير من الآثار الموضوعة في قاعات متحف أهل العاديات والآثار ويبدلون لنا لو أردنا في الحصول عليها مئات الألوف من النصار ونووايس المتحف البريطاني والنوفر ليست بأعظم منها.

ومن عاديات المتحف ناووس معروف باسم صدراب أحد ولاية فارس فيه رسوم الصيد والقصر والحرب والنعب والسياق ووضيعة جنازة ومنه يستدل على ما وصلت إليه هذه الصناعة من تنويع الرخام في أيونيا في الساحل الغربي من بلاد الأناضول من الارتقاء في القرن الخامس ق. م وهناك تمثال ثنائي عشرة امرأة من أعجب ما نقش النقاشون جعلنا على أشكال متنوعة بعضهن قائنات وبعضهن قاعدات ومن يذرفن دموع الحزن والنهضة وبالقرب منهن ١٩ قطعة من نووايس رومانية عشر عليها في جبل لبنان وحمص وبيروت.

ومن النووايس البديعة ناووس اسمه ناووس ليكيا أي البلاد المعروفة اليوم بسواحل أضاكية من أعمال قونية وهو رومي الصناعة محني الأسلوب. وعلى مقربة منه تمثالان من الخزف المقوش لأبي الهول عشر عليها في مدينة أورله أو ميناء قلازومن من أزمير.

قلنا أن الناووس المعروف بناووس الإسكندر هو من أبدع ما صنعت الأيدي ولذلك زاره ألوف من عتاء أوروبا وأميركا يعجبون بصنعه وفيه كثير من الرسوم والخطوط النفيسة الملونة ومن الصور المزبورة عليها وقائع الإسكندر المشهورة. ومن كتاباته ما كتب بالخط الهيروغليفي المصري ومنها بالخط الفينيقي.

ومن الرسوم الموجودة في ناحية قرية ما يرجح أنه رسم الحرب التي نشبت بين الإسكندر في أيسوس أو أربيل وبين دارا ملك الفرس سنة ٣٣٣ ق. م.

ومما يقع نظرك عليه في القاعة الرابعة بعض عاديات هيتية مثل أسود وجدت في زنجيرلي وقصورها وتمثال يمثل أحد ملوك الهيتيين وقاعدة تمثالين لأبي الهول وتمثال من الحجر الأسود اسمه أسد مرعش كتبت عليه كتابات هيتية وهو أشهر أثر عثر عليه من آثار هذه الأمة حتى الآن.

والهيتيون أمة مختلفة كانت في القرن الخامس عشر قبل المسيح تنزل في جبال الأكراد في سورية وقبادو كيا وقسم عظيم من بلاد الأناضول حتى مجرى نهري الأهر (قيزل ايرمق) وكديز وأصولهم كثيرة متباينة بل أن البلاد التي كانوا مستولين عليها هي كما يقول الخققون في شمالي سورية أي في المنطقة المستدة من فرع الفرات الأكبر إلى جبال طوروس. وقد أنشأوا على الفرات قلعة قارغاميش المعروفة الآن بجربلس وأخذوا يهددون مدينة نينوى القديمة (الموصل) إلى أواخر القرن الثامن ق. م وبلغوا منتهى مجدهم بين القرن العاشر والثامن ق. م وقد استولى على هذه القلعة صاراغون ملك آشور سنة ٧١٢

وباستيالاته عليها محي اسم الهيتيين من عالم الوجود. على أن تاريخ هذه الأمة مع ما بلغت من الحضارة بين الأمم القديمة لم يؤثر عنها بالذات شيء يدل على عظمتها لأن خطها لم ينحل حتى الآن ويرجى أن يكتشف كما اكتشف الخط المصري القديم بواسطة حجر وجد في رشيد كتب بالخط المصري مترجماً إلى اليونانية.

ومن العاديات المهنة في المتحف الأواني الزجاجية والخزفية وأحسن الزجاج ما جاء من سورية وقد كتب على كل قطعة منها اسم البلد الذي عثر فيه عليها. ومعلوم أن تاريخ

وجود الزجاج قديم يتعذر معرفته وهناك قطع من الفسيفساء عثروا عليها في استانكوي أو جزيرة كوس من جزائر البحر الرومي ويرد تاريخها إلى الدور اليوناني وآثار معبد آشمون في صيداء من آثار الفينيقيين الخزفية وآثار سوكة وأياثلونغ ونامورد من أعمال إزمير وغيرها من بلاد الأناضول وأكثرها يوناني. وفي قاعة أخرى أوان وجدت بالقرب من صور وويج في ولاية مناستر في بعض المدافن وأوان في ليندوس (رودس) وغيرها يرد تاريخها إلى أدوار مختلفة يونانية ورومانية ومنها ما عثر عليه في لايسكي من أعمال كليولي.

ومن الآثار المهمة في القاعة الحادية عشرة عاديات أرض فلسطين ومنها ما عثروا عليه في جوار القدس ويرجع تاريخه إلى القرن الثامن ق. م وما عثر عليه في بحيرة حمص في الجزيرة التي حفر فيها من القدور والأسرجة وقد اعتبروا القسم الأعظم منها من عهد الزمن النحاسي. وفيه قطعتان من المرمز وجدتا بالقرب من المسجد الأقصى وعليهما كتابات بالرومية تحظر على الغرباء أن يتخطوا معبد سنيان وإلا فيعاقبون بالموت. وهناك حجر كلسي عثروا عليه في القدس مكتوب عليه كتابة فينيقية وفيه ذكر جر الماء تحت الأرض في قناة حفرت في الصخور من نبع جيحون إلى سور القدس حتى تصل إلى نبع عين سلوان وينسبونه إلى الملك حزقيا أحد من ورد ذكرهم في سفر الملوك من التوراة. وليست العاديات المصرية كثيرة في المتحف ومنها صور أبي الهول وفي ثلاث قاعات الآثار الكلدانية والبابلية والآشورية وأكثرها ألواح وأوان وأكواب وعظام كتبت بالخط المساري.

ومنها ناوروس من الخرف يرد إلى عهد بابل أي إلى نحو ٦٠٠ سنة ق. م ومنها مسلة من الحجر من مخلفات نابونيد ملك بابل كسرهما سنحريب في وقائعه مع السيتيين. ومن العاديات ما وقع في خرابة نيفر في الشمال الشرقي من الديوانية من أعمال بغداد ومنها ما وجد في تلول من أعمال البصرة ومنها ما عثروا عليه في سيارا أو ابلي الحبة من أعمال الجزيرة.

وقد خصوا القاعة السابعة عشرة بالآثار التدمرية والحميرية ومن الآثار التدمرية ما يستدل منه على أن صنعها من بدائع صناعتهم وإن كانت تشبه الصناعات اليونانية لأن مملكة تدمر وإن كانت يهودية لم يبق فيها أثر لهم لأن الآشوريين قرضوا عنراهم ثم ارتقت على عهد أوليانوس أوائل ظهور النصرانية ودخلت في حوزة المملكة اليونانية على عهد الإسكندر واستعملت اللغة الرومية ولا سيما في الرسميات وإن كانت لغتها الآرامية أو السريانية. أما الآثار الحميرية فهي آثار أهل سبأ ومعين في الجوف وعاصمة سبأ مأرب وأهل معين كانوا نازلين في قصبة العلى في جوار مدائن صالح ومملكة حمير اليمنية إنما نشأت بعد هلاك مدينة سبأ ومعين واستدلوا من ذلك على أن الخط الحميري يشبه الفينيقي ولكن دخله قلب وإبدال كثير.

ومن العاديات آثار قبرص منها تمثالان للنعودين هو كول وأفروديت وأوان خزفية ونذور. ومنها حني آشورية وفينيقية وحني وجواهر وأقراط وأساور وقلائد وجدت في مدينة ترواده أي في محل اسمه الآن حصارلق جبل قار وهنلسبون أي بين جناق قلعة وبحر الأرخيل وكانت هذه عاصمة قديمة مشهورة. ومنها ما وجدوه في ترال من أزمير وليية من طرابلس الغرب وبرقة وغيرها في طرسوس وآخر في برعمة وفي نابلس.

هذه جئنا أشرفنا بها إلى ما حواه المتحف وله قسم آخر إسلامي جعلوه في قصر الصيني أمام البناء الجديد كما قسمت مصر عادياتها إلى متحفين متحف الآثار المصرية واليونانية القديمة والمتحف العربي. وقصر الصيني هذا مما أمر بإنشائه السلطان محمد الفاتح ولكن لم يبق عليه من آثار أيامه إلا أثر ضئيل جداً مثل الآثار التي يحويها وبعض عاديات وأكثرها من قرون الانحطاط أي القرون الخمسة الأخيرة ومنها بعض الصيني الذي كان يعمل في دمشق وروودس وأزنيق وكوتاهية وبعض الكاشاني المكتب بالكوفي ومنها ما عثر عليه في مصر وقونية ودمشق وبورصة وكان يعمل فيها كما تعمل الطنافس البديعة في معامل دمشق وتوقاد وأصفهان وغيرها.

ومن عاديات قصر الصيني درفان من صنع قره مان وقونية ومنها رحالي وقماقم وطنافس ومصابيح وخطوط صدرت عن بعض الملوك العثمانيين ومنبر من صنع الرها (أورفة) وأوان خزفية وجدت في الرقة من أعمال حلب وجلود كتب من صنع مهرة الجندين من العرب والفرس والترك وأصونة وخزائن وبعض آثار حجرية يقال أنها أموية عثر عليها في القدس وبعض نقوش حيوانات رسمت على الزجاج من الأدوار التركمانية والآرتقية وملوك بيني آرتق من ممالك منكشاه بن الب أرسلان السلجوقي حكموا جهات ماردين وديار بكر وحلب إلى سنة ٨١١ هـ وانقرضت دولتهم بعد حكم ٣٣٤ سنة إلى غير ذلك من العاديات والآثار وما عرضه عود طرب أو طنورة وهي من صنع عصور الظلمة أيضاً.

وبالجملة فإن العاديات القديمة التي جعلت في البناء الجديد كلها حسنة ومقيدة لو لم يكن الكسر والتعطيم يغلب عليها لما قاسته من أهويل الدهور أما العاديات التركية

والعربية الأخيرة فتافهة على الأكثر. وفي الأستانة محل قرب جامع السلطان أحمد عرضوا فيه صور الإنكشارية مجسدة من الجبس من صنع النمسا وهم ينسبون إليهم المعروفة وجالسون على مراتبهم وعادتهم لا بأس بزيارتها لما فيها من الفائدة التاريخية.

سيرة العلم والاجتماع

تربية صغار العملة

في السويد الآن ٧٢ معيلاً لصغار الأولاد منها ١٦ في استوكهولم والمخترعة لهذه المدارس العقيلة كوستاف سيستا رتزويس التي أنشأت أول معمل من هذا النمط منذ عشرين سنة تذكراً لأُمها وهذه المعامل هي عبارة عن منجأ لأولاد الشعب الذين لا تفتح لهم المدارس أبوابها إلا صباحاً من الساعة الثامنة إلى الواحدة أو بعد الظهر من الساعة الثانية إلى السادسة فيعلم فيها الأولاد صنع الخشب وتطريق الحديد وإصلاح الثياب وخياطتها وخصف النعال وصنع الأحذية. وقد تبين لهذه المعامل أن الأولاد يعنون كثيراً بالثياب التي يخطونها بأنفسهم ولا يقصد من هذه المعامل إعداد عملة ماهرين خبيرين بل يكتفى بتسرين ما خصوا به من الخلق والنظر والاجتهاد وتقوية ميلهم الحسن إلى الاعتياد على العمل ولا يسمح لولد أن يتخنى عن صنعة قبل أن يعمل بنفسه شيئاً فيها يرضى عنه معلومه ومعلوم أن الخلق في العمل اليدوي يكون قبل الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة هذا مع ما في عندهم من التأثير الأدبي النافع ويزيد ذلك سهر الأساتذة على تلامذتهم ومعامنتهم لهم بالحب والحرية ولا تعطيههم هذه المعامل لقاء عندهم سوى طعامهم وهم يهيئونه بأنفسهم معظم الأحيان.

أترابنا العميان

تحت هذا العنوان كتبت معلمة إنكليزية من العبيان في إحدى المجلات العنسية مقالاً أثبتت فيه أن العبيان ليسوا كما يتوهم الناس عاجزين إلا عن استعمال قسم قليل جداً من القوى التي يستخدمها المبصرون وأوردت على ذلك أمثلة من التعليم الخاص بالعبي في بيوتهم أو في المدارس الابتدائية والعالية فقالت أن هذه المدارس التي يديرها العبي في الأكثر مثل مدرسة المعلمين العبيان في إنكلترا تعلم تعليماً موافقاً لحاجات الطلبة بحيث يغادرها هؤلاء وهم يعرفون القراءة والكتابة والخياطة باليد أو الآلة وطباعة الننتوب والكتابة على الآلة الكاتبة واللعب. وتعليمهم اللعب من أصعب الأمور هذا ما يحرض عليه أساتذة مدرسة المعلمين المذكورة حتى غدا تلاميذهم يعرفون اللعب بالشطرنج والداما ويركبون الدراجة ويحسنون التجديف والعمم ولعبة الفوتبول.

تعلم اللغات الحية

نشر أحد ضباط الإنكليز في الجيش الهندي مقالة في المجلة المدرسية ذكر فيها أن حكومته أرسلته مع الحامية إلى تخوم الشنال الشرقي من مستعمرة الهند بين قبائل متوحشة تتكلم بلهجة هندية صينية ليس لها قواعد ولا معجم مفردات مكتوبة فقادته الاتفاق إلى أن صارت له صلة مع أحد شيوخ ذاك الصقع يستعمل السحر والكهانة فأنشأ بادئ بدء يستمع لما ينقيه ذاك الساحر من القصص مشفوعاً بإشارات ورموز واضحة تجلب النظر فلم يمض زمن طويل إلا وقد توصل إلى إدراك المعاني التي يريد بها الساحر وما هو إلا قليل أيضاً حتى دهش من نفسه وقد أخذ يألف الكلمات التي يدمدم بها الشيخ المتوحش وأصبحت له من هذه اللغة البربرية معرفة واسعة لم يتعب في تحصيلها كأنه تعلمها من

كتاب. واستنتج بعد ذلك بأن خير طريقة يجب اتباعها في تعليم الأحداث لغة لا يعرفونها أن يسير المعلمون لها على الطريقة التي تعلم بها صاحبنا الإنكليزي لغة الهند الصينية.

الأخلاق بالطعام

يرى بعضهم أنه يستدل على أخلاق المرء من خطوط يده أو من تفلطح رأسه أو من استعماله القهوة أو غير ذلك ولكن أحد أطباء الإنكليز قال: قل لي ما تأكل لأقول لك من أنت واستدل بأن الإغذاء بلحم البقر يورث نشاطاً وقوة. واستعمال لحم الخنزير يورث النفس انقباضاً ويسود المستقبل في النظر. ولحم الخروف يورث السویداء والإكثار من لحم العجل كثيراً مدة طويلة يضعف كل نشاط ومقاومة. وتناول اللبن الحليب والبيض يولي قوة ذهن ولا سيما في النساء والزبدية تكثر البلغم والتفاح يوافق العامنين بعقولهم والخردل من باعثات الذهن ومنشطاته.

المباحث النيسنولوجية

النيسنولوجيا من العلوم الحديثة وهو يبحث عن الظواهر والتراكيب التي تبدو البحيرات وعلى سطوحها وفي داخلها وتدل هذه الظواهر على الخصب الذي لا يتناهى في جوف الأرض ولهذا العلم شأن عظيم في أميركا. ففي نيكاراغا مثلاً بحيرة اسمها نجيايا هي في الحقيقة حوض ماء من الصابون تحتوي كميات وافرة من محلول بيكاربونات البوتاس والصودا وسنقات المنغنيزيا إذا ثار الهواء تحدث منه أمواج يتكون منها زبد يستعمله سكان

ضفاف البحيرة في غسل رؤوسهم والتداوي من الأمراض الجلدية. وفي وسط ولاية الالاسكا بحيرة أغرب من هذه يكون سطح مائها حلواً وسمكها أبيض اللون أما الماء في

داخلها فأملح من ماء البحر وتوجد فيه الأسماك التي لا تصاد إلا من البحار. ومن البحيرات الصغرى في ولاية أوتاج ما تجد ماءه مركباً من توابل ممحقة متبلورة يمشي عليها الفارس ولا يسقط وفي ذاك الصقع أيضاً بحيرة لون مائها وردي وتنبعث منها رائحة بنفسج ولونها ورائحتها صادران من وجود الحث نبات الماء فيها وبالقرب من سانتا في كولورادو بحيرة تحتوي كمية وافرة من الكبريت. ومثل ذلك تجده في كثير من أقطار الأرض وهو ناشئ من نوع الحيوانات والنباتات التي تعيش في تلك البحيرات ومن طبيعة أرضها بركانية كانت أو غيرها. قالت اللجنة التي عربنا عنها وربما عئل بذلك ما وجد في بحيرة اكتشفت حديثاً في آسيا من الغنيان الدائم في مياهها بحيث لا تنزل حرارتها عن ١٢٠ درجة بالميزان المثوي.

التشيل في الخلاء

ضاققت في الغرب بيوت التشيل فهرع الناس إلى الخلاء يتخذون منه دوراً للتشيل لا تضيق بالمشيلين ولا بالحضور. وقد مثلت مدرسة هارفرد الجامعة في أميركا في المدة الأخيرة رواية جان دارك للفيلسوف الألماني شيلر فكان المشلون ألفي شخص والحضور خمسة عشر ألفاً وهو أعظم اجتماع عني هذه الحال.

الجيش العامل

عنى الرغم من احتجاج الملوك ومعارضة دعاة السلم ما برحت أوروبا تريد في جيوشها العاملة حتى بلغ الجيش العامل أربعة ملايين وربعاً من أصل ٤٣٥ مليوناً من السكان أي عاملاً واحداً يؤخذ من كل ثلاثين عاملاً في أوروبا وألمانيا وحدها ٦٣٤ ألفاً وفرنسا زهاء ٦٠٠ ألف وهكذا ازداد عدد هذه الجيوش زيادة كبرى فزادت أوروبا جيشها

العامل منذ سنة ١٨٦٩ ضعفي ما كان وكذلك نفقاته. وفي الإحصاءات الأخيرة أن أوروبا تنفق على جيشها مساهمة ستة مليارات و ٧٢٥ مليون فرنك في السنة.

صفات السياسي

نشرت مجلة الاجتماع الدولية مقالة في الأخلاق التي يجب أن يكون عليها الساسة فيها قالته أن الناس يزعمون بأن أحسن سياسي أكثرهم جريزة واحتياطاً وقد أبان استورنل كونستان فساد هذا الرأي مؤكداً بأن الثقة والسلطة والاعتبار حليفة أهل الحشمة والوقار من الناس أما النجاح المؤقت الذي يأتي به بعض الظرف فهو من شأن الساسة السطحيين وولادة المنحطين. فمن يجيد السلام يسلم عليه ولكن لا يعد شيئاً عند التحقيق. ومن النقائص المضرة جداً في السياسي أن يكون واسع الفكر ورديء النية فعليه إذا أحب النجاح أن يتحامي إدهاش المجتمع بفضيلته. كما أن الواجب عليه أن لا يعيش عيش الفقراء بل أن يكون له مسكن في المدينة التي يقيم فيها وواحد في الضاحية وآخر في بلده الأصلي وأحياناً مسكن في إحدى الولايات والإنفاق على أربعة بيوت يحتاج إلى البذل كثيراً ولكن ذلك ضروري لمن يجب أن يقوم بوظيفته حق القيام على صورة محتشمة. وختم الكاتب مقالته بأن السياسة مثل سائر المسالك والأوضاع آخذة بالنشوء والابتعاد عن التقاليد القديمة من دس الدسائس واستعمال الشدة وغايتها الآن العمل لما فيه نشر السلام بين الأنام.

المعادن الشفافة

جاء الذهب فظهر لهم أنه من المعادن الشفافة ومن المحتمل أن يكون النحاس والفضة كذلك. وإثبات أن هذه المعادن شفافة يحدث أواناً مذهشة وتغييراً في الصناعة.

خفقان القلب

يختلف خفقان القلب في الحيوان باختلافه في الطول فكلما كان نوع الحيوان صغيراً زادت ضربات القلب فقلب الفيل يخفق ٣٠ مرة في الدقيقة والحصان ٤٠ والحصار ٥٠ والإنسان ٧٠ والكلب ٩٠ والأرنب من ١٥٠ إلى ٢٠٠ والفأرة من ٥٠٠ إلى ٦٠٠. ولم يتيسر حتى الآن بالآلات الموجودة معرفة خفقان قلوب الحيوانات الصغيرة وغاية ما عرف أن الفأرة نفسها كلما كانت فتية زاد خفقان قلبها.

جمعية الموسيقيين

تألفت في فرنسا جمعية مهمة لتجميع جميع الجمعيات الموسيقية في فرنسا على اختلاف مقاصدها في نقابة واحدة. ففي فرنسا الآن ١٢ ألف جمعية موسيقية مؤلفة من ٣٠٠ ألف إنسان على الأقل فإذا دفع الواحد فرنكاً في السنة لهذه النقابة أن تعمل أعمالاً مهمة ومنها إنشاء مكتبة موسيقية عامة.

التثيل في إيطاليا

الشعب الإيطالي مولع من وراء الغاية بالتثيل ولعه بالتصوير والنقش والموسيقى حتى بلغت عندهم أكثر من جميع البلاد المتعدنة بالنسبة ففي إيطاليا ١٢١٧ مسرحاً أي مسرح واحد لكل ثلاثة وعشرين ألف شخص ولولاية بروز المقام الأول حتى أن بليدة صغيرة اسمها كامبوناكورد في البندقية سكانها ٣٥٠ شخصاً لها معهد تمثيل. ومعظم دور تمثيلهم تسمى بأسماء أعظم رجائهم.

حوادث السكك الحديدية

على كثرة عناية الأمير كان لاتقاء ما يحدث عن السكك الحديدية من المكدرات تزداد حوادثها يوماً بعد يوم وقد حسبوا أنه هلك من وقائع السكك الحديدية منذ شهر حزيران ١٩٠٦ إلى مثله من سنة ١٩٠٧ ١٢٢٨٨٥ أي أكثر مما هلك وجرح في معركة واترلو حيث بلغ مجموع من هلكوا ٥٣ ألفاً وفي معركة موكدن حيث لم يتجاوز الهالكون مئة ألف. وقد اخترعوا في روسيا طريقة سموها طريقة التجسس وهو أن يداهم المفتش وقاد القاطرة والميكانيكي وغيرهما من عملة القطار أثناء السير فإذا صادف خطلاً أو نقصاً يحكم على المتراخي في الحال. ويقضي على كل سائق ووقاد أن تفحص عيناه كل شهر فإذا شوهد فيها أدنى ضعف يمنع من الخدمة وقد جربوا هذه الطريقة في روسيا وأميركا فظهرت لهم فوائدها.

البريد الألماني

في إحصاء رسمي لسنة ١٩٠٨ أنه كان عدد الرسائل وغيرها التي مرت بالبريد الألماني تلك السنة ١٤٠٥٧ مليوناً وكانت سنة ١٩٠٠ ٨٨٤٠ مليوناً وعدد مستخدمي البريد ١٩٤٢٥٦ سنة ١٩٠٠ فأصبحوا في سنة ١٩٠٨ ٢٨٨٧٢٥ وتجيء بعد سويسرا ألمانيا بجودة بريدها في حين كانت إنكلترا الثانية منذ ثلاث سنين. ولكل ٨٢٥ نفساً في سويسرا مكتب بريد ولكل ١٤٩٥ نفساً في ألمانيا مكتب وفي إنكلترا لكل ١٨٧٣ وفي البنجيك لكل ٥١١٩ وفي إيطاليا لكل ٣٩٤٠ وفي النمسا ٢٩٦٥ وفي فرنسا ٣٠٠٨ وفي إسبانيا ٤١٤٣ وفي روسيا ١٠٣٦٥ وفي الدولة العثمانية لكل ١٨٢١٥.

مدرسة الخنية

الخلية أو عش النحلة اسم وضعه أحد مفكري رجال التربية في فرنسا المسمى سياستيان فور لمدرسة له أوجدها في مدينة رمبوليه من مقاطعة الواز في شمالي فرنسا لتربية اليتامى أو الأطفال المهملين أو ذوي الحاجة يختارون من أبناء السادسة ويعلمون إلى الخامسة عشرة فيتلقى الطفل إلى السنة الثانية عشرة التعليم الابتدائي وبعد ذلك يضاف إليه قسم فني فيتعلم الطالب حرفة فإذا بلغ الخامسة عشرة يخير بالخروج من المدرسة أو أن يعمل فيها على أن يقسم أرباحه من صناعته ثلاثة أقسام ينفق الأول لطعامه ومسكنه والثاني يضاف إلى رأس مال الخلية والثالث يودع له في صندوق التوفير لحاجته الذاتية والخلية الآن مكان لطيف فيه ٢٦ طالباً وأسرة المؤسس ١٤ يعيش هؤلاء الأربعون نسمة كأسرة واحدة ورأس مال هذه الخلية من ثمرة أعمال المؤسس وحسنات الخسنيين وقد كانت نفقتها سنة ١٩٠٩ نحو عشرة آلاف ليرة ودخلها أقل من ذلك بقليل وقد أسست منذ سنة ١٩٠٦ وهي الآن تحسر وتسد العجز منه ويربي الطلبة على التربية البدنية والتربية العقلية ولا يعلمهم الدين ولا التاريخ ليختاروا متى شئوا لأنفسهم ديناً ومذهباً سياسياً لأنه يقول أن التاريخ كما هو الآن لا يخلو من زيادات كثيرة فمن نصفهم بأنهم عظماء كانوا في الحقيقة مخربين أشراً ولذلك يكفي بتلقينهم تاريخ الحضارة والمدنية إذ يلقنهم بذلك حقائق راهنة لا يتطرق إليها الفساد.

اكتناء عرب الشام

كتب الأمير شكيب أرسلان في النبراس فصلاً قال فيه تحت العنوان السالف ما يأتي: إنه لمعنوم أن لكل مبارز شعاراً ينادي به في ميدان الحرب، وهذا هو المسمى عند الماضين بالاكثناء وعند المعاصرين بالنخوة، وهي في اللغة العظيمة والفخر: يقولون انتخى عليه

افتخر وتعظم. وحيث كان المنتخي أكثر ما ينتخي على طريق الكنية كأن يقول: أنا أبو فلان وأخو فلان جعل هذا المذهب من الفخر في ساحة القتال اكتناء وسمي هذا الاكتناء انتقاء. ومنه قول الإمام علي رضي الله عنه: أنا أبو حسن القرم ومنه: أنا الغلام الغفاري. وقد ورد في الحديث: رأيت عنجاً في القادسية وقد تكنى وتحجى والتكني هو هذا والتحجي هو الزمومة على عادة الفرس.

ولا ينحصر الاكتناء المذكور هنا بذكر الأب والأم بل هو تعريف الفارس بنفسه في ساحة الوعى بنقب من الألقاب أو وصف من الأوصاف يصير عليه عنماً. فالشعلان شيوخ الرؤلا من عزة من أعظم العشائر الضاربة في بلاد الشام ينتخي واحد منهم بقوله: أنا راعي العليا وتى قيل راعي العليا علم أهم الشعلان عند كل العرب. ولهم نخوة أخرى وهي أخوصيته ولا أدري ما أصل هذه التكنية ولكن الصيتة في اللغة هي بمعنى الصيت ومنه قول لبيد:

وكم مشتر من ماله حسن صيتة ... لآبائه في كل مبدٍ ومحضر.

ثم أن ابن سمير شيخ ولد علي فخذ آخر من عزة يكنى بقوله أخو عذرا وعذرا هذه قرية في مرهج راهط شرقي دومة الشام كان لأبناء سمير عليها أتاوة سنوية أو على رأيهم خوة فتكنوا بها فكأن قوتهم أخو عذرا يشير إلى أن قرية عذرا تؤدي لهم الخوة.

ثم أن ابن الطيار شيخ الفرقة الثانية من ولد علي يتكنى بأخي ثنية ولا علم ماذا كانوا يريدون بهذه الثانية الخلى المسى بثنية العقاب الواقع إلى الشرق من عذرا والذي هو المطلع من المرج إلى جبال القلمون.

ثم السردية وهم من العرب المعروفين في بلادنا بأهل الشمال ولهم قرية في حوران وإمارة في الأيام السابقة ويزعم بعضهم أنها بطن من تنوخ فهؤلاء ينتخون بقولهم أخوذية.

ثم بنو صخر النازلون شرقي البلقاء على طريق الحاج وهم فرقان الطوقة والخرشان. فالطوقة ثلاث فرق: الغبين وشيوخهم الفايز وهم شيوخ سائر بني صخر أيضاً ومنهم المرحوم طلال باشا ابن فندي الفايز والحامد والزين. فالفايز كنيتهم في الحرب أخوبنها والحامد يقولون أخو عمناء والزين أخو وضحا. وأما الخرشان إحدى فرقتي بني صخر فيقولون أخو فلوا والبلهاء في اللغة هي المرأة الكريمة الغيرة التي لا تعلم الشر، وود أيضاً أنها الناقة: قالوا ناقة بلهاء لا تنحاش من شيء مكانة ورزانة كأنها حقاء. ولم أعلم سبب قولهم أخو بنها. أما العمناء فهي مؤنث الأعنث من العنث وهو ضعف البصر مع سيلان الدمع. ولم أر في فصيح اللغة الفلواء وإنما قيل أن الفلوة هو المهر يقال له فلوة بالتشديد ثم يؤنث فيقال فلوة مثل عدوة عدوة فهل ذاك تحريف أم تخفيف؟ لا أعلم. وجمع بني صخر يقال لهم البواسل وهو لقب يجمعهم فإذا قيل جاء البواسل فهم العرب من ذلك أنهم بنو صخر ومعناه مفهوم. ولهم لقب آخر وهو رعاة العرفاء والعرفاء مؤنث الأعراف وهو الطويل الذي عرف: يقال ناقة عرفاء أي مشرفة السنام. ويقال أيضاً ناقة عرفاء أي

مذكورة تشبه الجمال، ويقال أيضاً عرفاء لنضيع لطول عرفها وكثرة شعرها وقد ورد العرفاء في شعر الشنفرى قال:

ولي دونكم أهلون سيد عماس ... وأرقط زهنول وعرفاء جبال

ثم أن العدوان وهم عشيرة يتزلون منذ نحو مائتي سنة بالبلقاء يشتون في الغور ويقبضون في حسابان يكتنون بأخوة شيخه. ومن القريب أن هذه الكنية في الحرب كنية المشايخ العوامرة من رؤساء الدروز في جبل حوران. عَلَى أن للعدوان أيضاً لقباً آخر وهو رعاة الضبطاء. أخبرني شيخهم وشيخ مشايخ البلقاء في هذا العهد وهو سلطان ابن علي بن ذياب أن الضبطاء اسم ناقة غنصوها في حربهم مع الأمراء آل مهدي الذين كانوا في البلقاء قديماً وكانوا أمراء تلك الجهة وزحزحهم العدوان عنها بعد حرب عوان وأن آل مهدي كانوا قد حملوا عَلَى تلك الناقة أوقار كنوزهم من الحلي والذهب والفضة فهزهم آل عدوان وغنصوا الناقة بما عليها وتقاسموا فيما بينهم تلك الأموال فكانت بدء سعادتهم وحق لهم أن ينتسبوا إلى ناقة حملت سعدهم فوق متنها. وأما الضبطاء في اللغة فهي مؤنث الأضبط والأضبط هو الذي يعمل بكننا يديه: يقال أسد أضبط أي يعمل بيساره كما يعمل بيسينه، وناقة ضبطاء ولبوة ضبطاء. قال الجنيح الأسدي:

أما إذا أحردت حردي فنجرية... ضبطاء تسكن غيلاً غير مقروب

ثم عشيرة عبادة من نزالة البلقاء أيضاً وهم يناظرون العدوان يقال لهم الطرائفة فتسبعهم في الهيجاء يصيحون أين ذهب الطرائفة؟ أين ذهب الطرائفة؟ وهم فرق ست منهم المناصير أخوة عوجاء ومنهم الخاليتين (بدون تشديد) ومنهم الفقها ومنهم الرماضة ومنهم غير ذلك. والطرائفة اسم جامع لكل.

ثم الحويطات النازلون بأطراف معان والعقبة عَلَى طريق الحاج هؤلاء يقال لهم أخوة صالحة ويتخون في الحرب بكلمة خيالة الصفحة. سمعت أنهم يعنون بذلك محلاً صعباً وعراً كثير الحجارة في بلادهم وفي اللغة الصفائح هي بهذا المعنى.

ثم العجاردة وهم من عشائر البلقاء أيضاً ولهم قدمة في التاريخ رأيت السائح ابن بطوطة يشير في رحلته إليهم إذ مرّ من هناك قاصداً إلى الحجاز هؤلاء كنيتهم صبيان الصباح ولا أعلم الأصل في ذلك. وعشيرة أبي الغنم جيرائم يقال لهم أخوة دلعب ولا أعلم وجه هذه

التسمية ولم أرَ في الفصيح دلعباً فلعله مقلوب دعلب أو دعلب فإن الدعلبة والدعينة هما بمعنى الناقة.

وبنو حميدة من عرب الكرك صبيان السياح والنجالية شيوخ عرب الكرك الذين منهم مبعوث ذلك اللواء في مجلس الأمة هؤلاء كنيتهم أخوة خضرا.

والصليت من عرب الكرك أيضاً يقال لهم رعاة الحيزا ولا أعلم للحيزا معنى إلا إن كان من الحيز وهو السير الروبد والسوق الذين أخوة شيرة ولعل شيرة مخفف شيرة أي حميدة لأنه يقال امرأة شيرة أي حسنة الشارة.

والصقر من عرب غور بيسان يقال لهم رعاة الجدعا والجدعاء من الجدع وهو القطع وأكثر ما يستعمل في الأنف والشفة والأذن وقد رأيت في لسان العرب بنو جدعاء بطن من العرب.

ثم المساعيد النازلون بغور الفارغة في عدوة الأردن إلى الغرب على طريق نابلس أميرهم ضامن المسعودي لهذا العهد يقال لهم بنو عقبة وبلغني أنهم في الأصل أشراف واردون من الحجاز.

والسرحان من العرب الذين يقال لهم عرب الشمال اسمهم رعاة البويضا. والعيير اسمهم رعاة الصغرا والدعجة من عرب مادبة يقال لهم أخوة خشفة. والمشالخة من عرب غور

أبي عبيدة (رضي الله عنه) منهم الربيع أخوة عمشيا والفاعور أخو صباحا والشرارات وهم من عرب البادية الضاربة إلى الجوف يقال لهم الآن بنو مكلب وأظن أنهم بنو كنب لأن التاريخ ذكر نزول كنب بأطراف البلقاء من الشام.

ومن جملة الكنى المشهورة في حوران أخوة بلجاء وهي كنية بني الأطرش أشهر مشايخ الدروز بذلك الجبل. ولا أدعي أنني أثبت على جميع ما لعرب الشام من اصطلاحات النخوة والكنية والنقب إذ بقي هناك قبائل وبطون وأفخاذ لا يكاد يأخذها العدد ولكل منها كنية ومعرفة تتعرف بها وإنما تتبع القول السائر: ما لا يدرك كله لا يترك كله.

هنكي السل

ثبت أن الألكحول هي الباعث الأقوى للسل وأنه حيثما كثرت الحانات زادت الإصابات والوفيات بهذا الداء العياء. وإذا كان في فرنسا مثلاً نصف مليون حانة يصيب كل ثمانين

إنساناً من أهلها حانة واحدة وفي بلاد الشمال يصيب كل ٥٣ شخصاً حانة أصبح السل فيها أكثر انتشاراً من غيرها. وقد أكدوا أن بلاد نروج توصلت بالقواعد الصحية ومراقبة التلامذة والأساتذة في المدارس التي هي بؤرة العدوى إلى أن قلَّ فيها عدد المصابين بالسل وفي إحصاء ظهر منذ خمس سنين أن فرنسا يهتك فيها ٣١ نسمة من كل عشرة آلاف بهذا الداء وإيرلاندا ٢٦ وإيكوسيا ٢٠ وألمانيا ١٧ وإيطاليا ١٦ وإنكلترا ١٦.

التزيه في الفرصة

بدأت الشركات في سويسرا منذ عشرات من السنين بجلب الأولاد من بلادها وغيرها وتزويهم مدة الفرصة فجرت على إثرها شركات أخرى في أكثر ممالك أوروبا حتى بلغ عدد من تزهمهم الشركات من التلامذة في ألمانيا ٣٥ ألفاً في السنة وفي إنكلترا ٣٠ ألفاً وفي فرنسا ٢٥ ألفاً ومن التلامذة من يرسلون تحت حماية معلمهم إلى نزل للشركة ومنهم من تكتري لهم دوراً خاصة وفريق منهم يتباع أو تبني لهم دوراً من أرض لها ليترلوها خلال فصل الصيف.

الاستشفاء في الشمس

كتب الدكتور تريبولير في مجلة مطالعاتنا في البيوت ما مثاله معرباً: جاءت الشهور التي يستشفى بها بالشمس العجيبة فلنفتح لها أبوابنا ونوافذنا ولا يكفي تسخين المساكن بأشعتها وإنارة زواياها بحرارتها فإن الشمس في تلك الحالة لا تزيد الجراثيم التي تنمو في الرطوبة والظلمة إلا نضوجاً ولا يقتصر على الاستحمام بنورها المحرق المذهب خلال الارتياض والخروج للزهة بل الواجب إدخال أشعتها إلى جسمنا وهو عريان لتطهر أشعتها جثماننا وتحمي أنسجتنا وتحول المادة الحية المكتسبة إلى مواد حيوية طاهرة تحوي في مطاويها النشاط والقوة.

فقد أوصى اسكولاب المشهور في الأساطير القديمة الذي احترم الأطباء في كل عصر أقواله كل من ضعفت وظائفهم أن يعيشوا عراة في الشمس بوقاية رؤوسهم من ضربات الشمس. وكان الرومان يقتطعون من مساكنهم أو مدهم أماكن يختصونها بحمامات الشمس والهواء الطلق يدعونها سولاريوم بذلك حسن نسل اليونان واللاتين. قصد الإسكندر الكبير ديوجنس الكلبي ذات يوم وهو خارج من برميله يستحم على مهل

بنور الشمس فسأله الملك أي غرض تريد أن أقضيه يا فيلسوف فأجابته هذا أريد أن تبعد من طريق شمسي.

وقد اتفق الأطباء في عصرنا على هذه المسألة وجاءت من كل مكان أخبار فوائد أشعة الشمس. وحدث أن رجل كان مصاباً بخراجين نغارين من الخنازير فعرض أحدهما للشمس فشفي أما الثاني فلما لم يحسن مداواته بأشعة الشمس بقيت بحالها تتر. وهكذا الحال في كثير من الرضوض والقروح السلية والنواسير والبثور وجروح الجلد فإنها كلها تتحول بتأثير المداواة بالشمس.

وأشعة الشمس لا تؤثر فقط في ظاهر الجلد بل تحترق البشرة والأدمة (الطبقة الغائرة من الجلد) وتسري إلى الداخل وتعديل الحواس الداخلية فالحرارة المنبعثة منها تجلب التعريق فتلين الأعصاب وترخص المفاصل ويزول الشعور بالملل والثقل بتأثير الأشعة وما يتبعها من ارتفاع درجة الحرارة ويحسن الهضم شيئاً فشيئاً ويسكن القلق والاضطراب الحادثان من أوجاع مجهولة. ويرتفع التأثير الشديد الناشئ من وجع الكلى والرحم والمبيض والآلام العصبية ووجع الأضلاع أو يقل تناوبه على المصاب به فتنبسط نفسه وترتاح روحه وتتعدل حالة البول بإدراره تارة وتجمعه أخرى وتحسن موازنة الوظائف العديدة في تركيب الإنسان وأكل الأحشاء التي تقاوم كل تأثير تنتهي بها الحال إلى الخروج عن ضعفها. ويقف السمن عن النمو أو يرجع القهقري وذلك بدون عقاقير ولا تعاطي أدوية ولا حاجة لنوصل إلى هذه الغاية إلى أكثر من الشمس على طريقة منظمة بتوجيه الأشعة إلى البطن السمين والعنق والخاصرة حتى تعود إلى اعتدالها وحالتها الطبيعية وبعد المداواة بالشمس أشهراً يعود الصدر إلى سالف طبيعته.

وإن الحركات الرياضية التنفسية اللازمة للبالغين من ضاقت صدورهم وكل من لهم استعداد للسبل لتقضي بأن يعري المرء نصفه الفوقي ويعرضه للشمس وهذه المداواة تنفع جميع الضعفاء والهزالي والمنهوكين والمعبين. وأكثر المستشفين انتفاعاً بأشعة الشمس من اسودت بشرتهم فإذا لم يكتب لهم ذلك فالواجب أن يعملوا إلى طريق آخر في الاستشفاء. ويجب أن يعرض الجزء اللازم شفاؤه للشمس مباشرة بدون حاجز اللهم إلا سجنف يقي الجسم من النظر وهبوب الهواء فلا يحتم المستحم على هذه الصورة ولذلك رأى بعضهم أن خير استشفاء ما يكون في الشتاء ورأى آخرون أي الواجب الاستياط ووضع رفادات ندية

أو مثلجة على الرأس والرقبة والقلب ولذلك يجب مراجعة الطبيب.

السجناء

ما برح الناس في الغرب يسعون إلى تخفيف عذاب السجون والرفق بالسجناء حتى أصبح السجن بهيجاً كالمعمل أو الشكنة بل إن بعض السجناء قال لمفتش أحد السجون أنهم لا يعطوننا خبزاً مثل خبز الجند كأنه يظن نفسه أرقى منهم طبقة ويحق له أن يطالب بأكثر مما نال فليس عجيباً من ثم أن تزيد الجرائم. واختلف الباحثون في الجرائم والعقوبات فمنهم من رأى الاستعاضة عن الحبس بغرامة مالية ولكن ما كل الناس في سعة يستطيعون معها بذل المال وقال آخر يجب تشهير الجاني بالإعلانات ورد عليه غيره بأن ذلك مناط بعقل الجرم. وذهب آخرون إلى وضع المجرمين في بيوت أهلها من أهل العرض والشرف ثم عاد عن هذا الفكر وارتضاه فقط لصغار الأولاد. وأحسن السجون سجن لوفان في البلجيك حيث يفصل المحكوم عليهم عن أخوانهم ويزورهم أناس من أرباب الشرف والحسنة

يسلّوهم ويعطوهم عملاً ويستمعون لمطالبهم وينصحون لهم سرّاً بنصائح صالحة وقد ارتأى أحد العلماء أن احكوم عليه يجب أن يفصل ما أمكن عن أقرانه ويكون قريباً ما أمكن من المجتمع.

شركات المطاط

كان يستخرج المطاط إلى العهد الأخير من أشجار بوية معرشة اسمها ليان ثم أصبحوا يغرسون شجرة ويزرعونها فصارت غلاته على طريقة منظمة وأجود وأغزر من قبل وانتشرت هذه الزراعة في المستعمرات الإنكليزية فأنشئت سنة ١٩٠٩-٨٩ شركة إنكليزية برأس مال قدره عشرة ملايين جنيه كما أنشئ من أول كانون الثاني ١٩١٠ إلى ١ آذار ٤٥ شركة أخرى رأس مالها خمسة ملايين ونصف من الجنيهات وكل يوم تنشأ شركات جديدة وقد كانت رؤوس الأموال الموضوعة سنة ١٩٠٦ مليونين ونصفاً من الجنيهات فأصبحت اليوم ثلاثين مليوناً وأهم تلك الشركات تمثلك ٢. ٧٠٠. ٠٠٠ شجرة يستخرج منها المطاط.

مدرسة التربية

يذهب كثير من الباحثين إلى أن المدرسة إذا علمت الأولاد قليلاً أو كثيراً فهي لا تربهم وقد كتب أحد علماء الطليان بحثاً في هذا الشأن قال فيه أن المدارس تفرط في تدريس التعليم المسيحي على حين ليس هو نافعاً في تربية أخلاق الأولاد وذلك لأنهم لا يفهمون منه شيئاً فالواجب أن يعبد إلى تربية الطفل على العمل حتى تصبح المدرسة مربية حقيقية في ساعتين تكفيانه في اليوم لتعليم اللغات والمعارف الابتدائية فينبغي تخصيص بقية الوقت أي ساعتين أو ثلاث للأعمال اليدوية بحسب ميل الطفل وذوقه لأن الاستعداد للعمل

أُمتن أساس في الخلاق وبذلك لا تكون المدرسة سجن الطفل تتبرم نفسه من الجنوس على دكات المدارس خمساً أو ست ساعات في اليوم وتضطربهم المدرسة إلى حضور التعليم الديني بلا فم والفترة تدعوهم إلى الحياة العنيفة التي هي مستقبلهم في المجتمع.

سماد الفوسفات

انتشرت صناعة السماد الكيماوي ولا سيما الفوسفات فقد ظهر هذا السماد لأول مرة سنة ١٨٦٧ في كارولين ثم جاء سماد البنجيك والجزائر وتونس وجزائر المحيط وفنوريدا وغيرها وكان المستخرج منه سنة ١٨٨٦ ثمانمائة ألف طن فأصبح هذه السنة خمسة ملايين طن والولايات المتحدة أكثر الممالك إخراجاً للفوسفات أي نصف ما يستخرج من آسيا وأوروبا وأفريقية وزاد المصروف من هذا السماد ٧٩ مرة خلال العشر السنين الأخيرة.

القرى والمدن الأنكلومكسونية

قابل احدهم بين نحو المدن في إنكلترا ونحوها في ألمانيا فقال أن الألمان أشد ميلاً إلى سكنى المدن من الإنكليز في حين بدأ الإنكليز بالتحضر في المدن قبل الألمان بكثير فقد كان ٥ في المئة من سكان المملكة الجرمانية سنة ١٨٧١ يعيشون في المدن التي تضم كل واحدة منها بين جوارحها مئة ألف نسمة فبلغ عدد ساكني المدن ١٩ في المئة من مجموع من مجموع السكان سنة ١٩٠٥ وكان عدد المدن التي تحوي كل منها مئة ألف نسمة ١٤ مدينة في إنكلترا سنة ١٨٧١ فيها ٦. ٢٥٠. ٠٠٠ ساكن أو ٢٧ ونصف في المئة من مجموع السكان فأصبحت سنة ١٩٠١ ٣٣ مدينة كبرى تحتوي كل واحدة منها على مئة ألف نسمة ومجموع سكانها ١١. ٥٠٠. ٠٠٠ فزاد سكان المدن ضعفين خلال هذه المدن في

إنكلترا وزادت في ألمانيا ثلاثة أضعاف. والسبب في نمو المدن الألمانية كثر أراضي ألمانيا وكثرة الولادات بل هجرة الناس من القرى ومعظم سكان المدن الحديثة هم شبان تختلف سنهم بين ٢٠ إلى ٤٥ سنة.

عملة الطليان

يبلغ عدد العاملين في إيطاليا ١٦٦ . ٧٨٧ . ٧ عاملاً منهم ثلاثة ملايين و ١٢٦ . ٥٠٠ يعملون في الصناعات و ٦٦٦ . ٤٦٧ في الزراعة وقد أنشأ الراقون من العملة مؤتمراً للاتحاد بينهم منذ أربع سنين فبلغ عدد الداخلين فيه إلى هذه السنة زهاء ثلثمائة ألف وغايتهم أن تكون حركة طبقة المساكين تحت إدارتهم مباشرة وأن يساعدوا على تأسيس غرف للعمل والاتحاد الوطني وينشطوا على وضع القوانين الاجتماعية النافعة للعاملين فخططهم إصلاحية سلمية.

التعليم الحديث في الصين

أخذت الصين منذ سنة ١٩٠٠ تعنى كل العناية بإصلاح التعليم في الصين فنظمت كلية بكين وقسمتها إلى ثمانية أقسام ثم أسست مدرسة للغات الغربية وفي سنة ١٩٠٣ وضعت مشروع قانون لجعل التعليم عصبياً محضاً فأخذ الطالب يشرع في الدرس في السنة السادسة ولا يخرج من المدرسة الثانوية إلا في سن العشرين وبعد ذلك يتمرن ثلاث سنين في المدرسة العليا في عواصم الولايات قبل أن يخصص في مدرسة بكين في علم واحد وهذه المدرسة تعد رجالاً أكفاء لسته وأربعين مسلكاً. ويصرفون جزءاً مهماً من الوقت في المدرسة الابتدائية لتعليم اللغة الصينية وقراءة كتب الأقدمين من كتاب الصين أما في المدارس الأخرى فيدرسون العلم واللغات الحية خاصة وهذه اللغات تعلم على الترتيب

الآتي: اللغة الإنكليزية اللغة اليابانية اللغة الفرنسية اللغة الألمانية اللغة الروسية. والتلامذة أنفسهم يلاحظون في كل مدرسة أمر مدرستهم وبحق لهم الإشراف عليها. ولم تكذ تنشر النوائح الجديدة في التعليم حتى وضعت موضع العمل وقام الصينيون كلهم يطلبون إنشاء مدارس لهم وقد فتحت في ولاية بتشيلى وحدها ثلاثة آلاف مدرسة في آن واحد وحولت كثيراً من المعابد البوذية إلى مدارس للتعليم على الصول الحديثة وقد أوعزهم المعلمون أولاً حتى أصبحوا يقبلون المتعلم بعض من لا يحسنونه إلا أن الصين لم تلبث أن بعثت إلى يابان سنة ١٩٠٤ بألفي طالب يتعلمون في مدارسها العالية وزاد عددهم حتى بلغوا سنة ١٩٠٦ عشرة آلاف طالب وكل من يعود منهم توظف إليه الوظائف السامية في التدريس وغيره (من مجلة العالمين الفرنسية).

التعليم في ألمانيا

لا شيء أدل على ارتقاء التعلم الابتدائي في ألمانيا من قلة عدد الأميين بين الجند من أبنائها فقد كان عند ألمانيا سنة ١٨٨٧-١. ٢٥٠ جندياً أمياً من الجنود الذين كانوا تحت السلاح فأصبحوا سنة ١٨٩٧ مائتين وقد بلغا هذه السنة اثنين في المئة من مجموع المجندين وأكثر هؤلاء الجنود الأميين من البولونيين في بروسيا الشرقية أما عدد الأميين في فرنسا في السنة الماضية فقد بلغ ٩٨٢٥ من الجند ومعظم الدول تعلم جندها الأميين القراءة والكتابة بحيث لا يقضي الجندي الخدمة العسكرية إلا وقد تعلم الكتابة كما تعلم الرماية.

المطبوعات الأميركية

نشر إحصاء بحركة العلم والمطبوعات في الولايات المتحدة خلال السنة الماضية فشوهد أن القوم أخذوا يزهّدون في قراءة القصص ويرغبون في تناول كتب الجدد وأصبحت كتب الآداب في الدرجة الأولى من العناية بعد أن كانت في الدرجة الخامسة. وقنت العناية بكتب الدين واللاهوت كما زادت في سائر فروع العلم مثل الفنون النافعة والجغرافيا وكتب الرحلات والسياسة والعلوم الاجتماعية والتربية. وقد طبع سنة ١٩٠٩ في هذه البلاد ٨٣٠٨ كتب لمؤلف أميركي وكان عددهم في السنة التي قبلها ٦٣٤٩ وطبع ٨٢٨ كتاباً لمؤلف إنكليزي أو أجنبي وكان عدد هذه الفئة في السنة التي قبلها ١١٤٥.

اللغة الروسية

كانت اللغة الفرنسية في روسيا منذ مئة سنة لغة الطبقة العالية والمجتمعات المنورة وما برح الروسيون يعملون على تحسين لغتهم ويحبونها إلى النفوس على كثرة شذوذها ويرققونها على غلظتها حتى نشروا أعلامها لا في بلادهم فقط بل في أوروبا ووصلوا بها إلى أميركا ففي نيويورك وحدها حيّ للروس يبلغ المتكلمون بلغتهم ١٦٠ ألفاً هذا واللغة الروسية على ما فيها من الآداب منذ عهد بوشكين شاعر الروس الأول إلى عهد تولستوي آخر أئمة النشر عندهم لم ترح على جفائها الأول وإن تسربت عليها ألفاظ كثيرة من اللغات الجاورة ولا سيما الألمانية.

أميركا الإسرائيلية

في إحدى الجلات الإفرنجية أن أميركا هي بلاد الإسرائيليين لو رجعنا إلى ما قاله بعض المؤرخين والإحصائيين. فقد دخل الإسرائيليون أميركا منذ اكتشافها وسها علماء إسرائيل في البرتقال بأعمالهم الرياضية والفنية الطريق لسفر خريستوف كولبس إلى

أمير كابل إن مال اليهود هو الذي يسر له رحلته وكان معه في السفينة لويز دي تور الإسرائيلى وهو أول من داس الأرض الأمريكية وأخذ المهاجرة من الإسرائيلىين منذ افتتاح تلك البلاد يأتون زمراً زمراً فاليهود هم الذين استعمروا سان توميه حيث أسسوا معامل السكر وهم نجحت برازيل إلى أن طردوا منها سنة ١٦٥٤ وجزائر بارباد وجامايك ارتقت بواسطة الإسرائيلىين وقد طرح أحد حكام الإنكيز أن الإسرائيلىين هم أحسن رعايا عظمة الملك. وما كانت الولايات المتحدة لتدخل في طور الفلاح لولا العنصر اليهودي فيها. وقد قال الرئيس يوم عيد الـ ٢٥٠ لهجرة الإسرائيلىين أن هؤلاء القوم قد شاركوا في عمران هذه البلاد ونشأها. وقال الرئيس كلفلند لم يؤثر أحداً كاليهود في تأسيس معالم الحضارة الأمريكية اليوم.

الرياضات اليابانية

يقول اليابانيون أن الأجسام بينهم أخذت بالضعف منذ تخلى الناس في يابان عن الارتياض واللعب على طريقته القديمة على خلاف ما يظن الأوروبيون فإن كثرة المواصلات بالترمواي والسكنك الحديدية قللت السير على الأقدام والمشي من أنفع الرياضات كالسباحة وقد نصحوا بأن الواجب على كل ياباني أن يحسن العوم ويتعلمه مكرماً في المدارس وعلى الناس أن يرجعوا من تلقاء أنفسهم إلى تعاطي اللعب والرياضات والمشي فليس أدل على ضعف البنية اليابانية أكثر من أن حكومة الميكادو أخرجت ١٧٨ ألفاً ممن الجند وأعفتهم من الخدمة من أصل ٤١٤ ألفاً لضعف بنيتهم ولأنهم لم يستوفوا الشروط المطلوبة للخدمة العسكرية.

خريطة العالم

دعا المؤتمر الجغرافي في جنيف سنة ١٩٠٨ مؤتمراً دولياً للتعاون على وضع خريطة للعالم من مقياس مليون فاجتمع المؤتمر في لندرا وقرر أن ترسم إنكلترا معالم أفريقية ومجاهلها وترسم الولايات المتحدة معالم أميركا الشمالية والجنوبية وألمانيا ترسم آسيا وستكون هذه الخريطة أصح مصوراً للأقاليم والبلدان تنفق عليه النفقات العظيمة.

محصول الحنطة

ذكر أحد كبار الإحصائيين الاقتصاديين منذ عشر سنين أنه سيجيء وقت ليس بعيد يظهر عجز كبير في محصول القمح فلا يعود يكفي الناس لأنهم في ازدياد كل يوم والمحصول لا يزيد على نسبتهم فقد أبان بعضهم أن محصول الحنطة في العالم سنة ١٩٠٦_١٩٠٦ كان ٧. ٨١٢. ٤٦٢ هكتولتراً (الهكتولتر مئة لتر) وما صرف منها ٢٢٩. ٧٧٣. ٧٣٠ فبلغت الزيادة ٧. ٨١٢. ٤٦٢ هكتولتراً وبلغ المحصول في العالم سنة ١٩٠٧_١٩٠٨ ٢. ٧٣٦. ٤٣٠ والمصرف ٢. ٣٣. ٥٨٥. ٩٠٠ أي بعجز ٣٢٠. ٨٤٩. ٤٧٠ ولا يتأتى سد هذا العجز إلا بخزن القمح وخزنه لا ييسر على ما ينبغي والمستقبل لا يخلو من خطر على غذاء البشر. وقد عاد الاقتصاديون فيبحثوا عن الراضي التي تزرع قمحاً فأثبتوا بالأرقام أن كثيراً من الأصقاع في أميركا وآسيا آخذة بالنمو العجيب في زراعة الحنطة وأنه يمضي الجيل إثر الجيل والقرن بعد القرن والحنطة تكفي البشر وإنه إذا كانت بعض المطاحن والمخابز وقفت عن الطحن والعجن والحيز ولا سيما في العواصم الأميركية والإنكليزية فذلك ناشئ من مضاربة تجار الحنطة لا من قلة المحصول.

الصحافة في سويسرا

ظهر تقويم الصحافة السويسرية لهذه السنة فبين منه أن سويسرا على قلة سكانها أكثر البلاد الراقية بصحفها ومجالاتها ففيها ٢٦٢ جريدة سياسية وإخبارية تصدر باللغة الألمانية و ١٠١ باللغة الفرنسية و ٢١ باللغة الإيطالية و ٣ باللغة الرومانش (الرومانش من شعوب سويسرا الشرقية يتزلون اليوم في كريزون ولغتهم مشتقة من اللغة اللاتينية) وعندهم أربع مجلات فلسفية مهمة و ٤٠ مجلة فرنسية برتستانتية و ٣٧ ألمانية و ٢٧ جريدة كاثوليكية و ١٠ جرائد للبراسلين وجنتان إسرائيليتان وثلاث مجلات لا تقول بدين هذا عدا الجرائد الرسمية التي تصدر في المقاطعات والمجلات الحقوقية والاقتصادية والاجتماعية والفقهية ومجلات الضمان والنساء والفلسفة والعلوم والصناعات النفسية والرياضيات والآداب فيكون مجموعها ٧٦٦ مجلة وجريدة فحيا الله بلاد العلم والعمل.

منع التقييل

اشتدت ولاية أيوا في الولايات المتحدة أكثر من غيرها من أصقاع الأرض منع التقييل وقد صنعت ألوفاً من الشريط الأبيض والوردي كتبت عليه لا تقبل ووزعت مجاناً على تلامذة المدارس وأخذت إدارة الصحة تبعث بأطبائها إلى البلاد يخطبون القوم في مضار التقييل وأساتذة المدارس يساعدونهم بما يشرونه من النصائح للتلامذة والطبة.

حماية الجمال الطبيعي

في ألمانيا عدة جمعيات أخذت على نفسها حماية الجمال الطبيعي في أصقاعها البهجة وهي تبذل كل مرتخص وغال لحماية المصانع القديمة من سوء يتزل بها ومنذ عشر سنين ما برحت المؤتمرات لهذه الغاية تعقد وتتوالى ومن هذه الجمعيات ما يبلغ إيراده مئة ألف فرنك في السنة تصرفها في هذا السبيل.

الحمة

هي تلك الراضي الفسيحة الواقعة في وادي اليرموك الجميل عَلَى الخط الحجازي الآتي من طريق حيفا في الكيلومتر ٩٣ و ٩٥ الذي يشقه نهر الشريعة الشهير عَلَى جنوبي جبال مكيس ذات الآثار الجنيلة المعروفة قديماً بمدينة (جدره) وفي الحمة ينبع ثلاثة ينابيع معدنية حارة تنبجس بغزارة وتجري حتى تنصب في نهر الشريعة عَلَى بعد قليل ويبعد النبع عن الآخر بضع دقائق يدعى إحداهما المقلي أو حمام سليم ودرجة حرارته ١١٩ والآخران (حمام الجرب) وحرارته ١٠٨ وحمام الريح وحرارته ٨٢ يميزان فارغيت وينحى بهذه الحمامات ثمانمائة دوم كنها صالحة للزراعة ذات خصب وثراء وقد عرف الأقدمون مكانة هذه الينابيع فعمروها عَلَى أحسن طرز من البناء الروماني الضخم الجميل يدلنا عَلَى ذلك ما خلفوه لنا من الآثار الجنيلة والأبنية لدائرة الفخمة التي تخاطبنا بأفصح لسان بما كانت عليه من الجلال والمنعة إبان مجد الرومانيين الدابر منها آثار تياترو من الحجر الصلد الأسود عَلَى غاية الرونق والإتقان.

وقد جرى تحليل هذه المياه في أدوار مختلفة لمعرفة خصائصها ومنافعها في الاستشفاء والمعالجة فأفصحت التجارب عن حقائق ذات شأن كبير منها شفاء أو جاع المفاصل المعروفة بالروماتيزم عَلَى أنواعها عضلية أو مفصالية وأمراض الجلد والقروح حادة أو مزمنة والرممل الكنوي وأمراض المعدة والكبد والأمراض الزهرية والأمراض المانعة لنجبل والتوليد وغير ذلك وفيها أيضاً نبع غزير بارد له خاصية شفاء الإسهال إذا شرب منه المصاب ولهذه الحمامات شأت في كثير من جهات البلاد الجاورة لذلك يقصدها الكثيرون يستشفون بها ويمنعون النظر بمنظرها الطبيعية الجنيلة بين ماء وكلاً وجبال شماء وأودية

غناء ولا أبالغ إذا قلت أن معدل قاصديها في شهر نيسان لا يقل عن عشرين ألفاً يقيسون أياماً تحت حر الشمس وهبوب الريح لا بيت يؤويهم ولا نزل يكنهم فإن كان هؤلاء القاصدون يبلغون هذا العدد وهي قراء خربة في شهر واحد فكم يكون عددهم لو هيأت لهم حمامات منتظمة وأبنية وفنادق وما به يستتب لهم الراحة فيه أأبالغ إذا قلت أنهم يزيدون عن المائتي ألف؟

وقولي هذا يقوله ألوف غيري ويضيق بي المقام لو قصدت الاستفاضة في وصف ما تحتنيه شركة مساهمة من الأرباح وما يحوزه الوطن من الفوائد المادية والمعنوية والشركة تحتاج إلى خمسين ألف ليرة منها خمسة وأربعون ألف ليرة للأبنية من الحمامات ونزل ومستشفيات وخمسين ألف ليرة لإصلاح الأراضي المجاورة ونصب أشجار مثمرة من ليمون وبرتقال وغيره وحدث عن خصب هذه الأراضي ولا حرج فإن شجرة الباميا بلغت مترين فكم تكون غلة الشجار المثمرة وكم يكون ثمرها عجيماً وكم من الأرباح والفوائد التي تستغلها الشركة وتنتفع بها دون إعانات وعناء؟
عجلون:

نجيب فر كوح.

مطبوعات ومخطوطات

العبرانيون والفينيقيون

نشر المسيو سلوش من علماء المشرقيات كتاباً بالإفرنسية ذكر فيه أن الإسرائيليين والفينيقيين من عنصر واحد وليس أصل سكان فينيقيا بعيداً عن وقت دخول المكسوس أي العرب إلى مصر. ومعنى فينيقي ساكن الكثبان والرمال الحمراء وكان الفينيقيون

والعبرانيون على عهد القضاة شعباً واحداً قال وقد دخل التمدن إلى بلاد اليونان من مصر وإن كان موسى أخو أبي الهول قد خرج من صحراء ليبيا ليحمل الحضارة إلى يونان والكادموسيون أخوان الفينيقيين البكر أما أجداد الساميين المذكورين باسم بني قدم في التوراة فإن أصل مقامهم كان في الهند كوش وخليج فارس ومعنى اسمهم الساميون الشرقيون ومنهم خرج العبرانيون سكان وراء بحر الفرات والآراميون سكان الشمال الجبئية والعرب سكان الغرب. وقال أنه كان سنة ٤٧١ ق. م أناس من المستعمرين اليهود في أسوان وجزيرة الفيلة من صعيد مصر وانتشر اليهود في القرن الثاني ب. م في افريقية ولما دمرت القدس سنة ٧٠ كان اليهود ومن تبع عاداتهم هم السواد الأعظم من سكان صحراء ليبيا. وبعد الحروب التي نشبت بين يهود اليونان ويهود الرومان خربت بلاد برقة وصحراء ليبيا الشرقية واضمحلت سكانها وسقطت اليهودية اليونانية منذ ذاك الحين في افريقية ولما قامت مدينة قرطاجنة الرومانية على أنقاض قرطاجنة الفينيقية أصبحت مدينة تقاليد اليهود التنبوديين وامتدت المستعمرات اليهودية إلى من قرطاجنة بلاد مراكش وكثر عددهم في مراكش الرومانية وأفريقية الفاندالية في القرن الثالث للمسيح. وتكلم على اليهود الحميريين واليهود البربر وعلق شأنًا عظيمًا على قول ابن خلدون في البربر النازلين في أفريقية منذ عهد متطاول والبربر الذين أتوا من حمير وهم عرب اختلطوا في أفريقية بالسكان الأصليين وتبربروا مثلهم وقد انصيفت هذه الشعوب الحميرية بصيغة اليهود وقال أن اليهودية انتشرت في جنوبي بلاد العرب منذ سنة ١١٥ ق. م.

نشر المسيو كليمان هوار من علماء المشرقيات من الفرنسيين ديوان سلامة بن جندل من شعراء الجاهلية نقلاً عن نسخة مخطوطة من مكتبة آيا صوفيا في الأستانة وقد ترجمه كنه إلى الإفرنسية ونشره في المجلة الآسيوية فعساه يجرّد على حدة.

فقه العلم

هو كتاب قدمه أصدقاء الماركيز ملكيوردي فوكويه المستشرق الفرنسي بمناسبة ذكرى ثمانين سنة على ولادته وبعض تلامذته ورصفائه والمعجبين به من علماء المشرقيات فكتب كل واحدة مقالة وقد جرت العادة أن يقدم للعلماء مثل هذه الهدايا كما قدم لنولدكه أحد كبار علماء المشرقيات من الألمان مثله ومن مقالات هذا السفر النفيس مقالة للمستشرق مانس فإن برشم للكتابات الماثورة عن دولة الأتابكية في دمشق وحل ما عرف من الكتابات الخمس عن أمراء البوريين منها ثلاث من الأتابك طفتكين وواحدة من ابنه يوري وأخرى من محمد بن يوري. ومنها مبحث لنتسيو برونوف في حصون تخوم بلاد العرب من العقبة إلى حوران وأشار إلى المعبد الذي أنشئ في أوائل التاريخ المسيحي في سي من بلاد حوران إكراماً لووسارا وفيه المصورات والرسوم اللازمة. ومبحث المسيو جويدي في المعلومات التي تؤثر عن علماء العرب في الجغرافيا من قبل الإدريسي مثل ابن خرداذبة واليعقوبي وابن الفقيه والاصطخري والمقدسي في وصف أوروبا الغربية فقال أن هذه المعلومات ضعيفة لأن العرب الذي جاؤوا إسبانيا قد ساروا على شواطئ أفريقية ولم يتيسر لهم أن يزوروا البلاد الغربية على أن هؤلاء الجغرافيين وصفوا رومية وصفاً مستوفى في الجملة أخذوه عن مصادر مسيحية ولكنها شرقية. وجميع

هذه المقالات متعلقة بآثار الشرق وتاريخه وآدابه وشعوبه وفي جملته الكاتبين أناس من كبار المستشرقين مثل سنار ونولدكه ومولر وماسيرو ومرجوليوت ودوسو وغانوا.

مجلتان جديدتان

العلم_هي أول مجلة عربية نشرت في العراق لمنشئها السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني في النجف وتطبع في بغداد وهي شهرية دينية فلسفية سياسية علمية صناعية ومؤلفها مشهور من القديم بكتابات ورسائله وقيمة اشتراكها ٢٠ قرشاً في محلها وريال ونصف في سائر الأقطار.

النجف_هي أول مجلة فارسية ظهرت في العراق أنشأها آغا محمد الخلاقي تصدر في النجف مرة في الشهر في ٦٤ صفحة وثمنها ثمانية بشارك وهي تبحث في موضوعات دينية ومدنية.